في أول تصريح بعد انتخابه
ترامب يتوعد بقطع الدعم العسكري عن المعارضة السورية المسلحة

بادر رئيس الائتلاف الوطني السوري، أنس العبدة، لإرسال تهنئة رسمية من الائتلاف إلى الرئيس المنتخب دونالد ترامب، مشيراً إلى أنه على اتصال بمستشاره للتباحث في اكتشاف نهج جديد شامل تجاه سوريا.

معتبراً أن فوز ترامب برئاسة الولايات المتحدة قد يعطي قوة دافعة جديدة لإنهاء الحرب في سوريا.

وأوضح أن ترمب لديه الرغبة وروح القيادة لإعادة تأكيد الدور القيادي الأميركي في المنطقة وفي سوريا، مناقضا بذلك النهج الأميركي الحالي للديمقراطيين الذي قال إنه سمح لروسيا بأن تتحرك مع حصانة من العقاب.

وفي الوقت الذي كان رئيس الائتلاف يقدم قراءته السياسية ويبني تصورات إيجابية عن الرئيس الأمريكي الجديد، معوِّلا أن يقدّم جديداً ومفيداً لحل المشكلة السورية، كان الرئيس المُنتخب يدلي بأول تصريح له بعد انتخابه في مقابلة مع صحيفة وول ستريت جورنال الأميركية، بإنّ لديه وجهة نظر مغايرة لكثير من الأشخاص حول سوريا، واقترح الابتعاد عن سياسة الإدارة الأميركية الحالية في عهد باراك أوباما والتي ترتكز على "إيجاد جماعات معارضة سورية معتدلة لدعم الحرب الأهلية هناك".

وأوضح أنه يجب زيادة التركيز على محاربة تنظيم داعش في سوريا بدلاً من إيلاء الإطاحة بالرئيس السوري بشار الأسد الأولوية القصوى، قائلاً "كان موقفي مما يجري هو: أنك تقاتل سوريا، وسوريا تقاتل داعش، وعلينا التخلّص من داعش!...

روسيا الآن منحازة تماماً إلى سوريا، ولديك الآن إيران التي أصبحت قوية بسببنا، أيضاً متحالفة مع سوريا ... نحن الآن ندعم المتمردين ضدّ سوريا، وليس لدينا أي فكرة من هم هؤلاء الأشخاص".

ونقلت عنه الصحيفة قوله إنه لا يحب الأسد مطلقا، «لكن تعزيز نظامه هو الطريق الأفضل للقضاء على التطرف الذي ازدهر في فوضى الحرب الأهلية والذي يهدد أميركا»، كما نقلت أيضا تأكيده عزمه على تحسين العلاقات مع روسيا.

مؤكداً في حواره، إنه يجدر على الولايات المتحدة قطع الدعم العسكري عن المعارضة السورية المسلحة، وكانت صحيفة غارديان قد ذكرت إن ترامب عبّر عن عزمه إنهاء الدعم الأميركي للمعارضة السورية المسلحة رغم طلبها المساعدة منه، وأن الرئيس أكد مجددا أن تحالفا مع روسيا وسوريا لهزيمة تنظيم الدولة الإسلامية هو السياسة التي يفضلها للتعامل مع الأزمة السورية.

ربما علينا الانتظار قليلاً لنكتشف الخطة التي سيتعامل معها الرئيس الأمريكي المنتخب مع الوضع في سوريا، ولكن الدلائل والمؤشرات تدل على أن الرجل سيكون واضحاً منذ البداية وبأن حربه ستكون على الإرهاب وفقط!!

المحرر السياسي

من "هتلر" إلى "ترامب"
العزف على مقام العنصريّة والتطرّف

لست هنا بصدد مناقشة كيفيّة اتّخاذ القرار داخل أمريكا، ولا لتحديد من الذي يقرّر السياسة الأمريكيّة، ولست أيضاً بصدد مناقشة الفارق بين الحملات الإعلاميّة للمرشّحين وممارستهم الفعليّة بعد فوزهم.

لكن، ماذا يعني أن ينتخب الشعب الأمريكيّ شخصيّة كـ «دونالد ترامب» رئيساً للولايات المتّحدة الأمريكيّة في هذه الفترة بالذات، وهو الذي بنى حملته الإعلاميّة على مفردات الكراهيّة والعنصريّة وعلى ما يمكن اعتباره سابقة خطيرة في السياسة الدوليّة، وأعني عدم رفضه لفكرة استخدام السلاح النوويّ؟.

لنستعيد التاريخ قليلاً، فبعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالميّة الأولى والتي شارك فيها «هتلر» كساعي بريد متنقّلا بين خنادق خطوط القتال الأولى، وناقلاً أوامر القيادة العسكريّة، استطاع «هتلر» هذا، أن ينقل حزباً يمينيًّا متعصّبا وعنصريًّا خلال عشرة سنوات فقط من حزب هامشيّ لا أهمّيّة له في الحياة السياسيّة الألمانيّة إلى الحزب الوحيد في ألمانيا، مرتكزاً في هذا الانتقال الساحق على مفردات التعصّب والعنف والكراهية، وتمكّن بخطابه الفاشيّ المتطرّف من تشييد نظام ديكتاتوريّ سحق أكبر حزبين في ألمانيا، هما الحزب الشيوعيّ والحزب الاشتراكيّ الديمقراطيّ، واعتقل قيادتهما والكثير من أعضائهما، وزجّ ألمانيا والعالم في أتون الحرب العالميّة الثانية، التي أدّت إلى إلى أكبر مأساة في تاريخ البشريّة، وانتهت بهزيمة وانهيار ألمانيا وتقسيمها.

قد لا يعيد التاريخ نفسه لجهة النتائج التي ترتّبت على تحكّم «هتلر» بموقع القرار في ألمانيا، والتي قد تترتّب على وصول «ترامب» إلى موقع الرئاسة في أمريكا، لكنّه يعيد نفسه لجهة استثارة غرائز الناخبين وتحشيدهم خلف شعارات دفعت البشريّة ثمناً باهظاً كي تتخلّص منها.

يعكس هذا المأزق الأخلاقيّ والسياسيّ الذي وصلت إليه البشريّة تراجعاً بالغ الخطورة في منظومة القواعد والأسس التي كرّستها البشريّة من أجل حياة أفضل والتي تسبّبت فجائع الحروب ومآسيها في إقرارها.

من يتمعّن قليلاً في خريطة هذا العالم، قد يصاب بالصدمة، فالبشريّة تنزلق شيئاً فشيئاً إلى هاوية العنف، وما تجاهلته البشريّة من مآسٍ هنا وهناك يتمدّد شيئاً فشيئاً لتصل تداعياته إلى كلّ العالم، من كوريا الشماليّة، حيث يسجن شعب بكامله، إلى مسرحيّة «القاعدة» في أفغانستان، وغطرسة القيصر «بوتين»، والوليّ الفقيه في إيران، والحشد الشعبيّ في العراق، وبشّار الأسد الذي يرتكب مجزرة بالغة البشاعة بحقّ السوريّين منذ ستّ سنوات على مرأى من العالم، وصولاً إلى اليمن ومصر والسودان وليبيا و....و..، وإلى أوربّا، التي يتصاعد فيها المدّ اليمينيّ وتزداد شعبيّة أحزابها اليمينيّة المتطرّفة، وهاهو يسفر عن وصول «ترامب» إلى رئاسة أمريكا.

منذ أن انهار الاتّحاد السوفيتّي وانهارت ثنائية القطب التي كانت تحكم البشريّة والتي كانت تدفع كلّ طرف لتجميل وجهه كي ينافس الآخر، ومنذ أن أصبح العالم بقطب وحيد، توقّفت عجلة الدفاع عن القيم الإنسانيّة، وهاهي اليوم تأخذ بالدوران، لكنّها تدور إلى الوراء منذرة في حال تسارع دورانها العكسيّ أن تصل بالبشريّة إلى دوّامة عنف جديدة، ستكون بلا شكّ هي الأفظع من كلّ ما عرفته البشريّة، وعلى أنقاض هذه الدوامة ستنهض البشريّة، لتبحث مرّة أخرى عن قيمها التي سحقتها غرائز العنف والكراهية والتعصّب.

طالما أنّنا نستطيع أن ندير ظهرنا لما يفعله الطغاة أو نتواطأ معهم في جرائمهم، وطالما أنّنا نصمّ آذاننا عن صرخات الناس المظلومين في أيّ مكان من هذا العالم، فإنّ دوّامة العنف ستبتلعنا كلّ فترة من الزمن.

العالم أصبح صغيراً، ولم يعد بالإمكان أن نغلق أبوابنا على المآسي التي يصنعها مجرمون وطغاة في أيّ مكان من هذا العالم، ولم يعد من الممكن لأحد في هذا العالم أن يعتبر نفسه محصَّنا ومعزولاً عن تداعيات هذا القهر الذي يتغوّل.

لم يعد أحد بمنأى، ومصير البشريّة أصبح شديد الترابط لدرجة أنّ الموت سيجتاحنا جميعنا، أو ننتصر جميعاً للحياة.

بسّام يوسف

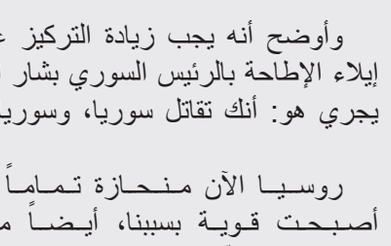
الإدارة الأمريكية الجديدة . ٢

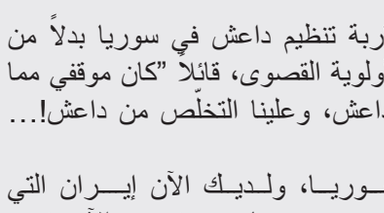
حوار من داخل حلب المحاصرة . ٤

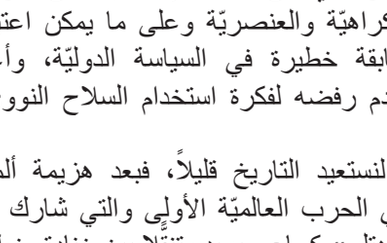
رغم الحصار "كلّنا سوريّون" في الغوطة الشرقيّة ٥

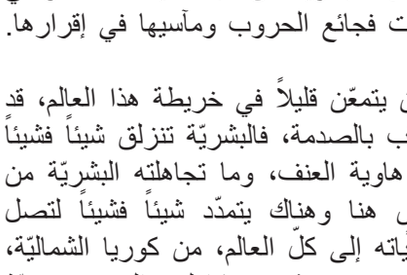
عسكرة المجتمع السوري. ٦–٧

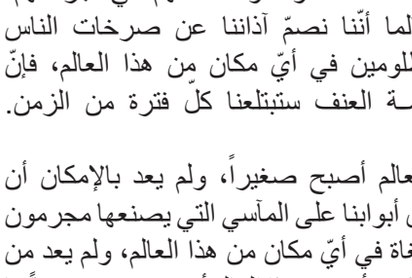
امرأة العصر الجاهلي . ٨

الإدارة الامريكيّة الجديدة ومصير حلب

مع الانشغال العالميّ بالانتخابات الأمريكيّة، والتكهّنات المتباينة عن سياسة الرئيس الصدمة، يبدو الوضع على الأرض السوريّة مؤجّلاً إلى حين. مع استمراريّة القصف اليوميّ على حلب وسواها، ومع استمراريّة معارك السيطرة على المزيد من المواقع الشماليّة في حلب والباب والرقّة، وبانتظار العهد الجمهوريّ في العشرين من كانون الثاني المقبل.

قد لا يحصل الكثير من المتغيّرات، فيما لا تتوفّر أيّة مؤشّرات ودلالات عن طبيعة الدور الأمريكيّ وعمّا سيجري في سورية بعد ذلك التاريخ. فعن أيّ مصير منتظر يمكن الحديث لما يجري حول حلب، وعن أيّة معارك حاسمة يطول زمن الوصول إليها مع كلّ عمليّة عسكريّة تستهدف بضعة مبانٍ بين كرّ وفرّ، بإلقاء المزيد من المواد المؤجّجة للنيران المشتعلة هناك بلا أيّة محاولة لإطفائها، ودون التعريج على أهمّيّة التوقّف عن الأعمال القتاليّة والعودة للحديث عن الحلّ السياسيّ، وبغياب البحث عن السبل الممكنة لإيصال المساعدات الإنسانيّة لمن أصبح بأمس الحاجة إليها، في ظلّ حصار تتزايد صعوبة كسره يوماً بعد يوم؟

لا شكّ بأنّ ما يجري في حلب، ليس إلّا جزءاً أو بعضاً ممّا يجري في سورية، ولا يمكن النظر إلى أيّة أهمّيّة استراتيجيّة لتلك المعارك الجارية حولها، انطلاقاً من استعادة نظام الأسد للسيطرة على بقعة لا تزيد عن عشرة كيلومترات مربّعة، بعد إجلاء كلّ من فيها من مدنيّين وعسكريّين، أو على تمسّك المحاصرين ببيوتهم المعرّضة للقصف اليوميّ، حتّى يتمّ التمكّن من فتح أيّة ثغرة كافية لكسر ذلك الحصار الخانق، فيما يتمّ الإعلان المتكرّر عن اقتراب ساعة النصر، سواء على من يسمّونهم بالإرهابيّين، أو على من يعتبر ذلك احتلالاً شيعيًّا وروسيًّا، فالمدينة التي لم يخرج أكثر من ربع سكّانها، ما زالت تضمّ بين ضفتيها ما يزيد عن المليون ونصف سوريّ، يقبع ما يقرب من ثلاثمائة ألف منهم تحت الحصار، بعد أن نزح من نزح نحو غرب المدينة أو خارجها، بينما تحتدم المعارك المتلاحقة بدءاً من خطوط التماس، لتطال الجميع وفي مختلف الأحياء، دون التوصّل إلى نتائج تذكر.

فمع سيطرة النظام على طريق «الكاستيلو»، وفصل شرق المدينة عن ريفها الشماليّ، لإحكام الحصار على مناطق سيطرة المعارضة، تزايدت الحشود العسكريّة الوافدة، وتزايد حجم الدمار الناجم عن حدّة المعارك الجارية، فالميليشيات الشيعيّة القادمة لخوض معركة حلب الكبرى، استدعت بقدومها التعزيزات الأكبر لجيش الفتح من إدلب وسواها، وعمليّة فكّ الحصار الأولى التي انتهت بالحملة الروسيّة الشرسة قبل نحو شهرين، تبعتها ملحمة حلب التي حقّقت بعض التقدّم لجيش الفتح في مناطق جديدة من غرب المدينة، ومعارك اليوم الهادفة لاسترجاع ما تمّ من اختراق مترافقة مع الاستعدادات الروسيّة الجديدة لحملة أكثر شراسة، قد تدفع بالمتطلّعين لفكّ الحصار نحو فتح جبهات جديدة وفي أحياء أخرى، وهكذا يجري التناوب على تحقيق أوسع تدمير ممكن للمدينة، الذي قد يطال معظم القاطنين في مدينة حلب بشرقها وبغربها.

وللحديث عن الدور الأمريكيّ في سورية، لابدّ من القول إنّ الفترة الأخيرة من عهد «أوباما»، قد انعكست بالكثير من التغيّرات السلبيّة على الأرض، تمثّلت بالتدخّل الروسيّ من أجل استعادة سيطرة نظام الأسد، وبانهيار التفاهمات الروسيّة الأمريكيّة لوقف الأعمال القتاليّة واللجوء للحلّ السياسيّ، دون القدرة على الاستعادة التدريجيّة للوضع السائد قبل انطلاقة الثورة وفقاً للصيغة الروسيّة، المتمثّلة بإصدار نسخة مزيّدة ومنقّحة من الدستور القائم، ثمّ بتوزير بعض الشخصيّات المترامية إلى أحضان النظام ممّن يعتبرون أنفسهم كمعارضين؛ كذلك فإنّ ذلك الدور القائم على سياسة الابتعاد عن التدخّل المباشر، قد أدّت للمزيد من التعقيدات الأخرى، المتمثّلة بالتدخّل العسكري التركيّ المستمرّ للسيطرة على أوسع قسم ممكن من الشمال السوريّ، وفي خلق المزيد من التوتّرات الأهليّة بدعم قوّات حماية الشعب الكرديّ الساعية للسيطرة على مناطق عربيّة؛ وكذلك في غضّ الطرف عن جرائم النظام السوريّ لتحقيق ما يسمّى بسورية المفيدة، عبر محاصرة العديد من المناطق السكنيّة في ريف دمشق وحمص، وإجلاء قاطنيها نحو مناطق إدلب وسواها.

إنّ تلك المنعكسات السلبيّة للسياسة الأمريكيّة، تجعل من التغيير المتوقّع في الموقف الأمريكيّ عاملاً مهمًّا، فيما لو تمّ خضوع مؤسّسات الدولة الأمريكيّة المعنيّة بهذا الشأن للتغيير، حيث سيكون الوضع في حلب هو الخطوة الأولى لهذا الاختبار، فإمّا سيتمّ التغاضي عن الموقف الروسيّ المصرّ على إخلاء الأحياء الشرقيّة، باستمراريّة محاصرتها، وبالتهديدات المستمرّة لتدميرها مالم يخرج قاطنوها، وإمّا سيضع الأمريكيّون حدًّا لهذا الموقف الصلف، وبأيّة وسيلة سياسيّة كانت أم عسكريّة.

لكنّه، وبعيداً عن الأمل المعلّق على التغيير القادم في السياسة الأمريكيّة، إذ لا مجال للسوريّين الغرقى سوى التعلّق بقشّة، فإنّ الأحاديث المختلفة عن الكوارث التي سيجلبها «ترامب» بوصوله للبيت الأبيض، قد لا يحمل للسوريّين سوى المزيد من الكوارث، وبخاصّة مع تلك التصريحات المتعلّقة بالتركيز على محاربة «داعش» وفقط.

وبانتظار تلك التغيّرات القادمة أو غير القادمة، ربّما يتوجّب على السوريّين دفع المزيد من الضريبة، للاختلاف الدوليّ القائم حول طبيعة الحل في بلادهم، وربّما تكون مدينة حلب هي المعنيّة حاليًّا، حيث يرزح مئات الآلاف من أبنائها تحت تهديدات السفن والبوارج الروسيّة، المحمّلة بالموت القادم عبر الطائرات والصواريخ الأكثر شراسة.

لؤي حاج بكري

لهذه الأسباب الخمسة سوف يفوز ترامب

١/ أعتقد أن ترامب سوف يركز الكثير من انتباهه على الولايات الأربع الزرقاء في حزام صدأ البحيرات العظمى العليا، وهي ميتشيجان وأوهايو وبنسيلفانيا وويسكونسن. تعد الولايات الأربع ديمقراطية تقليديًا، لكنها جميعًا انتخبت حاكمًا جمهوريًا منذ عام ٢٠١٠ «فقط بنسيلفانيا انتخبت الآن أخيرًا حاكمًا ديمقراطيًا».

في الانتخابات التمهيدية بميتشيجان في مارس/آذار، أدلى عددٌ أكبر من سكان الولاية بأصواتهم للجمهوريين «١,٣٢ مليون» مقارنة بالديمقراطيين «١,١٩ مليون».

يتقدم ترامب على هيلاري في استطلاعات الرأي الأخيرة ببنسلفانيا ويتعادل معها في أوهايو. يتعادل؟! كيف يكون السباق متقاربًا بتلك الدرجة بعد كل ما فعله وقاله ترامب؟!

حسنا ربما يكون ذلك لأنه قال «وهو محقٌ في ذلك» أن دعم كلينتون لاتفاقية النافتا «اتفاقية التجارة الحرة لشمال أمريكا» ساعد في تدمير الولايات الصناعية بالغرب الأوسط الأعلى. سوف يهاجم ترامب كلينتون بشدة بشأن ذلك بالإضافة إلى دعمها لاتفاقية التجارة عبر الأطلسي وسياسات التجارة الأخرى التي سحقت بعنف سكان تلك الولايات الأربع.

سيستغل ترامب غضب سكان الولايات الأربع من اتفاقية النافتا وبقية اتفاقيات التجارة الحرة، التي أضرت بفرص العمل في ولاياتهم؛ لينتزع ٦٤ صوتًا كافين للعبور إلى الرئاسة.

وهنا يأتي دور الرياضيات. في عام ٢٠١٢، خسر ميت رومني بفارق ٦٤ صوتًا من أصوات المجمع الانتخابي. الآن قم بجمع أصوات المجمع الانتخابي لميتشيجان وأوهايو بنسيلفانيا وويسكونسن، إنها ٦٤.

كل ما يحتاجه ترامب للفوز هو الفوز، كما يتوقع أن يحدث، برقعة الولايات الحمراء التقليدية من أيداهو إلى جورجيا «وهي الولايات التي يستحيل أن تصوّت لصالح هيلاري كلينتون»؛ ليصبح كل ما يحتاجه فقط هو ولايات حزام الصدأ الأربع تلك.

هو لا يحتاج فلوريدا، هو لا يحتاج كولورادو أو فرجينيا، فقط ميتشيجان وأوهايو وبنسليفانيا وويسكونسن، وسوف يضعه ذلك على القمة، هكذا سوف يمضي الأمر في نوفمبر/تشرين الثاني.

٢/ إدارتنا التي يهيمن عليها الرجال والتي استمرت لمدة ٢٤٠ عامًا للولايات المتحدة تقترب من نهايتها.

هناك امرأة على وشك تولي السلطة!، داخل عقل ذكر أبيض مهدد بالانقراض. هناك شعور بأن السلطة قد خرجت من أياديهم، بأن طريقتهم للقيام بالأشياء لم تعد الطريقة التي تحدث بها الأشياء.

هذا الوحش «النسوية النازية Feminazi»، الشيء الذي كما يدعوه ترامب «يخرج دمًا عبر عينيها أو أيًا كان الموضع الذي يخرج منه الدم» قد انتصر علينا والآن، بعد ان اضطررنا إلى احتمال ثمانية أعوام يخبرنا فيها رجلٌ أسود ماذا نفعل، يفترض أن نجلس لنشاهد ونتحمل ثمان سنوات تحكمنا فيها امرأة؟، بعدها ستكون ثمان سنوات للمثليين في البيت الأبيض!، ثم متحولي الجنس!، يمكنك أن ترى إلى أين يتجه ذلك. بحلول ذلك الوقت سيكون قد تم منح الحيوانات حقوق إنسان وسوف يدير هامستر لعين البلاد، يجب أن يتوقف ذلك.

٣/ مشكلة هيلاري، رغم الكراهية الواسعة لترامب، إلا أن هيلاري هي الأخرى مكروهة بشدة ويعتقد حوالي ٧٠٪ من إجمالي الناخبين أنها غير أمينة أو جديرة بالثقة.

إنها مكروهة بشدة، يعتقد حوالي ٧٠٪ من إجمالي الناخبين أنها غير أمينة أو جديرة بالثقة.

إنها تمثل الأسلوب القديم للسياسة، وهي عدم الاعتقاد جديًا بأي شيء عدا ما يمكن أن يجعلك تفوز.

لهذا السبب هي تحارب ضد زواج المثليين يومًا، ثم في اليوم التالي تعقد زواجًا للمثليين.

تعد الشابات من بين أكبر منتقديها، الأمر الجارح بالنظر إلى التضحيات والمعارك التي خاضتها هيلاري والنساء الأخريات من جيلها حتى لا يضطر أبدًا الجيل الأصغر من النساء إلى سماع باربرات بوش هذا العالم تأمرهن بأن عليهن فقط أن تخرسن وتذهبن لخبز بعض البسكويت.

لكن الأطفال لا يحبونها، ولا يمر يوم دون أن يخبرني فيه أحد أفراد جيل الألفية أنه لن يصوت لها.

لا يوجد ديمقراطي، وبالطبع ولا مستقل، سوف يستيقظ صباح الثامن من نوفمبر/تشرين الثاني متحمسًا للخروج والتصويت لصالح هيلاري كما فعل عندما أصبح أوبامًا رئيسًا أو عندما كان اسم بيرني على ورقة الاقتراع التمهيدية. ببساطة لا يوجد حماس.

ولأن تلك الانتخابات سوف تتوقف في النهاية على شيءٍ واحد من يخرج عددًا أكبر من المنزل ويجعلهم يذهبون صناديق الاقتراع فإن ترامب الآن له اليد العليا.

٤/ أصوات ناخبي ساندرز المحبطين، جرس الإنذار الذي ينبغي أن يدوي هو أنه بينما سيجر مؤيد ساندرز العادي نفسه/نفسها إلى صناديق الاقتراع في ذلك اليوم للتصويت بنوع من التردد لصالح هيلاري، فإنه سوف يمثّل ما يدعى «صوتًا محبطًا» ما يعني أن المصوت لن يجلب معه خمسة أشخاص للتصويت.

هو لا يتطوع لعشر ساعات في الشهر الذي يسبق الانتخابات، هي لا تتحدث أبدًا بصوتٍ متحمس عندما تُسأل لماذا سوف تنتخب هيلاري ناخبٌ محبط.

لأنه، عندما تكون صغير السن، لا يكون لديك تسامح تجاه المزيفين وعديمي القيمة. العودة إلى حقبة كلينتون/ بوش بالنسبة إليهم يشبه الاضطرار فجاة إلى الدفع مقابل الموسيقى أو استخدام ماي سبيس أو حمل أحد تلك الهواتف المتنقلة كبيرة القاعدة.

إنهم لن ينتخبوا ترامب، بعضهم سوف ينتخب هيلاري، لكن كثيرين منهم سوف يبقون في المنزل. سيكون على هيلاري فعل شيء يعطيهم سببًا لدعمها واختيار رجل معتدل أبيض كبير السن لين العريكة كنائب لها ليس هو الخطوة الجادة التي تخبر جيل الألفية بأن صوتهم مهم لهيلاري.

وجود امرأتين معًا مرشحتين على منصب الرئيس ونائبه كانت تلك فكرة مثيرة، لكن هيلاري خافت وقررت أن تلعب لعبة آمنة، هذا هو أحد الأمثلة فقط لكيفية قتلها لأصوات الشباب.

٥/ تأثير جيس فنتورا، سوف يصوت الملايين لصالح ترامب ليس لأنهم يتفقون معه، أو لأنهم يحبون تعصبه ونرجسيته، بل كنوع من التهكم السوداوي على النظام السياسي برمته.

أخيرًا، لا تتجاهل قدرة جمهور الناخبين على أن يكونوا مؤذيين أو تستخف بكيف يمكن أن يتخيل عدة ملايين أنفسهم كأناركيين بمجرد سحب الستار ووقوفهم وحدهم تمامًا في حجرة الاقتراع. إنها أحد الأماكن القليلة الباقية في المجتمع حيث لا توجد كاميرات أمن أو أجهزة تنصت أو أزواج أو أطفال أو مدير أو شرطة، ليس هناك حتى مهلة زمنية.

يمكنك استغراق أي قدر تحتاجه من الوقت هناك ولا يستطيع أحد جعلك تفعل أي شيء.

يمكنك الضغط على الزر والتصويت مباشرةً لصالح مرشحي أحد الأحزاب، أو يمكنك كتابة اسم بطوط أو ميكي ماوس في ورقة الاقتراع.ليس هناك قواعد.

وبسبب ذلك، وبسبب الغضب الذي يشعر به كثيرون تجاه نظام سياسي معطوب، سوف يصوت الملايين لصالح ترامب ليس لأنهم يتفقون معه، أو لأنهم يحبون تعصبه أو انتفاخ ذاته، وإنما فقط لأنهم يستطيعون.

فقط لأن ذلك سوف يعكر صفو الوضع الراهن ويثير غضب آبائهم وأمهاتهم.

يشبه الأمر تمامًا عندما تقف على حافة شلالات نياجرا ويتساءل عقلك للحظة كيف سيكون شعور القفز من ذلك الشيء، سوف يحب كثيرون أن يكونوا في موقف محركي العرائس ويلقون ترامب فقط لرؤية كيف سيبدو ذلك.

مايكل مور
ترجمة وإعداد: شام الحلبي

التفاهة

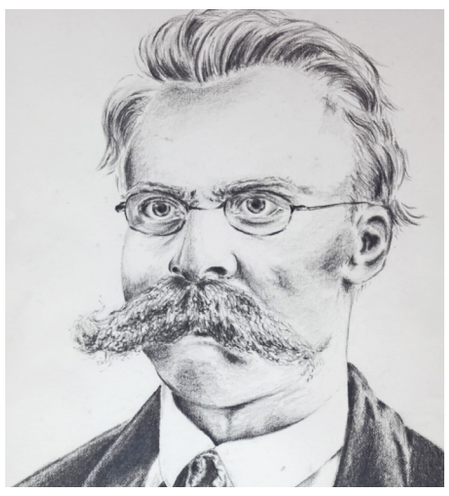

قبل مئة وخمسة وعشرين عاماً تقريباً، أطلق ذلك الألمانيّ الصغير الحجم، ذو العينين الغارقتين بالغموض، والمُسمّى «فريدريك نيتشه»، صرخة فلسفيّة مزّقت العالم الحديث، ووضعته أمام معيار الحقيقة، بأنّنا قادمون نحو عصر من العدم والتفاهة.

تلك الصرخة التي أدّعت موت الله. ومنذ فجر تلك الصرخة، بدأت كلّ فلسفات وأفكار وأديان وآيديولوجيّات العالم تتحارب من أجل نفي أو إثبات ذلك المعيار بشكل مغلوط.

عندما قال نيتشه ما قاله، لم يكن الأمر بالنسبة له هو تركيز الوعي البشريّ عن النفي المقصود لفكرة الله، بل بالضبط عن زوال القيمة المرتبطة بفكرة الله.

لقد أطلق نيتشه صرخته بعمق عن زوال القيمة والأخلاق والمعنى. ممّا يؤدّي بشكل بديهي، أن نيتشه وبعيداً عن إلحاده الشخصيّ، فإنّه لم يدعو للإلحاد، بل لتشريح إنسان العصر الحديث، الذي قد بدأ استهلاكه في بنية مجتمعيّة ومعرفيّة دوليّة أصبحت تسحقه بكلّ أبعادها.

ولست هنا بصدد الدفاع عن نيتشه أو إدانته، بل هي تقديم لفكرة ما آل إليه إنسان العصر الحديث.

يمكن القول إنّ رؤى نيتشه كانت على حقّ، وإنّها نظرة ثاقبة اتّجاه العالم، فبعد موته في عام ١٩٠٠، بدأ العالم أجمع يدخل مراحل من التدمير الذاتيّ، فكان القرن العشرين، هو السرعة الجنونيّة لتطوير العالم وازدياد معيار التفاهة والعدميّة.

ففي النصف الأوّل من ذلك القرن، دخل العالم حربين عالميّتين، واشتدّت الحركات الفلسفيّة الثقافيّة بين فئة المثقّفين في أوروبا وأمريكا، وتغير للبنية الاقتصاديّة والسياسيّة التي اجتاحت العالم في دول العالم الثالث، والحرب الباردة، وظهور الحركات بشكلها الواسع والعلنيّ، من حركات تحرّر وحركات ثقافيّة من أمثال الفوضويّين، والراديكاليّين في بعض الحركات لأديان سماويّة وأرضيّة.

ودخل العالم في دوامة من الجنون لم تنتهِ حقّا حتّى الآن. لقد كانت تلك المرحلة هي بداية إحساس البشر بعدم جدوى الحياة، وانتقالها إلي معرفة وإدراك عدميّة الحياة، وإن لم تتجلّ بشكل دقيق، لكنّها كانت بداية وتمهيداً للنصف الثاني من القرن العشرين.

وكان النصف الثاني هو دخول العالم مراحل أكثر تطوّرا، اتّساع الشركات المسيطرة على البنية العقليّة والنفسيّة للإنسان، وإدخاله في دوامة اللاجدوى، وسجنه في عالم من التكنولوجيا التي أصبحت تسيطر على جميع الأشكال الحياتيّة، فأصبح حتّى الإنتاج الثقافيّ والمعرفيّ يخضع لذلك العالم المتسارع.

إذاً هل كان نيتشه نبيّاً عندما ادّعى موت الله القيميّ؟.

ببساطة، ما قاله نيتشه كان تمهيداً وحجر أساس لما بعد الحداثة، والتي ظهرت كثير من المدارس والفلسفات المؤسّساتيّة لترقيع تلك الصورة الوهميّة عن المعرفة، لكن هل يمكن تحميل مصطلح ما بعد الحداثة كلّ تلك التعاريف؟.

ما بعد الحداثة هو ببساطة شعور الإنسان بالعدم ودخوله في إنتاج من التفاهة المتزايدة. فأضحت العلوم حبيسة المؤسّسات المسيطرة على الإنسان دون إمكانيّة الوصول إليها بدقّة، وأصبح ما يصل للإنسان هو ما تريده بحقّ تلك المؤسّسات، ممّا بدأ بخلق إحساس بالريبيّة اتّجاه ما نفكّر.

وأصبحت الفنون تخضع لمعيار البنية التكنولوجيّة من آداب كتابيّة، وإنتاجات موسيقيّة تزيد الإحساس بالغربة والتيه في عالم شاسع، ولوحات فنيّة لا تحمل أيّة قيمة سوى انخراطها بالعالم الخانع لصورة السيطرة اللامباشرة للمؤسّسات الكبرى. إنّها نوع من إنتاج تافه وشاسع ويتزايد يوماً بعد يوم.

تلك التفاهة التي في جوهرها هي إحساس بالعدم اتّجاه العالم ومكوّناته، وعدم القدرة على إنتاج معرفيّ حقيقيّ يُخلّص الإنسان من العبوديّة التي يشعرها دون دليل عقليّ مادّيّ عليها، فأصبح الإنسان يسعى لا لاكتشاف الحقيقة فعليًّا، بل لإثبات وجوده الصغير في عالم يأكله بسرعة جنونيّة.

فأصبحنا نرى في تلك البنية التكنولوجيّة، معيار القيمة الحداثويّة، فالمقطع الشعريّ التكنولوجيّ، أصبح يحصد آلافاً من الإعجابات أكثر ممّا يحصده رامبو أو ريكله أو أدونيس أو درويش.

والرواية التي لا تحمل أيّة قيمة معرفيّة أو فكريّة، أضحت أعمق من أعمال منيف أو رابليه أو الطاهر بنجلون أو حتّى كونديرا، والقياس قائم على جميع العلوم والفنون والآداب.

حتّى بأدقّ الأفكار النثريّة التي لا تعتمد سوى على قول الإحساس الشخصيّ لتحويله إلى بنية علنيّة لإفراغ الشعور بعدم الجدوى في عالم لا يكترث للإنسان.

إنّ موت الله القيمي الذي تحدّث به نيتشه، ورغم أنّ مليارات من البشر مازالت تؤمّن بفكرة الله، لكنّ حتّى تلك الفكرة لم تعد كما كانت، فأصبح حتّى الله هو أداة تفريغ لإحساس العدميّة والتفاهة، وتحويله من كيان طقوسيّ جوهريّ، إلى شكل أداتي لتبرير زوال القيمة نفسها وإيجاد مسوغ للاستمرار في هذا التيه العالميّ.

أخيراً، لم تعد المسألة هي إيجاد أو إعادة إحياء تلك القيم، لأنّ المسألة أصبحت تخضع لجنون متكامل في هذه الكرة الأرضيّة، من بنية دول عالميّة ومؤسّسات كبرى، حتّى أصغر فرد يدور في تلك الحلقة من اللاجدوى.

وأعتقد فعليًّا ولو كان حلًّا طوباويًّا بالمطلق، أن ما يُعيد للإنسان قيمته هو الخلاص من نير العبوديّة المعرفيّة التي تحدّد أشكال إنتاجه المعرفيّ ذاك، وذلك بإسقاط التكنولوجيا بشكلها المسيطر على العقل، ربّما يكون ذلك بداية إحياء للإنسان الذي فقد قيمته وتحوّل نتيجة فقد تلك القيمة إلى عقل تافه يبحث عن كيانٍ صغير في زمن لم يعد يكترث لوجوده أبداً.

إنّ الحقيقة الوحيدة التي يجب أن يدركها الجميع، بأن رؤى نيتشه فعليًّا كانت حقيقة، إنّ الله القيميّ قد مات في الوعي البشريّ، ولا يمكن إحياؤه مجدّدا، حتّى الراديكاليّة هي في جوهرها تفاهة عقليّة، تبحث عن وجودها في كومة من القشّ المحترق.

علي الأعرج

العدوى الممنهجة

بداية، وقبل كلّ شيء، يظنّ الكثيرون منّا نحن العرب أنّنا غير قادرين على ابتكار نظريّات ومصطلحات ودلالات وأفكار كما فعل الغرب في هذا الشأن من أمور عظيمة تستحقّ الثناء، ومن أمور بسيطة بالغوا بها على حسابنا نحن العرب أو نحن بلدان العالم الثالث، وقد وصل الأمر بنا إلى حدّ التشدّق بما أوجده الغرب أو نادى به كدلالة على حسن الثقافة والإطاحة بكلّ ما هو مفيد على يد أحد أبناء هذا العالم الفقير بكلّ ما هو عليه.

و لقد أشار العالم المصريّ أحمد زويل إلى هذا الأمر حين أوضح الفرق بين العرب والغرب في مسألة الاهتمام بأصحاب المواهب والقدرات والكفاءات منذ البداية، فالغرب ينتبه إلى الموهبة ويرعاها ويدعمها، بينما نحن لا ننتبه إلى هذه الموهبة ولا نكترث لها، وإذا انتبهنا إليها فذلك فقط لمحاربتها وطمسها وقتلها قبل أنْ تتفاقم على حساب أعداء الصورة المشرقة لكلّ ما هو جميل على صعيد الحياة برمتها.

وللأنظمة الحاكمة بسياساتها الديكتاتوريّة والقمعيّة يد بهذا الأمر ، فهي لا ترغب بظهور شخصيّات جديرة قد تنال من صورة السلطة وأعوان السلطة بطريقة أو بأخرى، ولكي لا يُقال إنّ السلطة تقمع ظهور هذه الشخصيّات قامت بوضع البديل في المجالات كافّة، بدءاً من وضع شخص رديء في مؤسّسات الدولة وليس انتهاءً بوضع الرديء في إحدى الوزارات، وبوضع ما هو أكثر رداءةً مديراً لمهرجان أو رئيساً لأحد الاتّحادات.

وهذا الأمر يبدو جليًّا في بقية شؤون الدولة والمجتمع والحياة الثقافيّة والعلميّة، فلقد تمّ هدم كافة صور الجمال والاستحقاق عن طريق رفد الدولة بشخصيّات هزيلة في الأدب والفنّ والموسيقى وأشكال الثقافة كافّة والإعلام والسياحة والرياضة والبحث العلميّ، وتحويل هذه الأمور إلى ظاهرة نفوذ لقتل أصل الأشياء وماهيّتها في نفوس الشعب.

لا يبدو الأمر غريباً حين نقول إنّ المهمّة انتقلت بالعدوى من الأنظمة إلى الشعوب، فالشعوب أخذت على عاتقها متابعة فنّ التهديم، بدءاً من الأسرة ومروراً بالمدرسة و ليس انتهاءاً بالوسط الثقافيّ والفنّيّ والعلميّ.

جاء الربيع العربيّ وبدت صورة العدوى بمجالاتها كافّة، فيما يتعلّق بعلاقة الشعب فيما بينه، وإنْ كان الشعب ضدّ الحكومات فهذا لا يكفي، فالمسألة لا تتجزّأ، فثمّة فئة من الشعب السوريّ الذي وقف بوجه النظام ارتكبت سلوكيّات لا تليق بها كفئة وقفت مع الحقّ إنْ لم نقل عنها فئة ثائرة، وكلّ فرد منّا لديه ما يكفي من الأدلة على هذه الفئة هنا وهناك .

حين نريد الكشف عن مواهب وعن شخصيّات مرموقة يجب أنْ يكون الكشف من الدائرة الأصغر لتصعد نحو الدائرة الأكبر، وليس العكس كما تفعل الأنظمة حين تأتي برجل ما وتطلق عليه ما تطلقه من مديح وتمنحه ما يريد ليكون صوتها في المجال الذي به، وهذه هي حقيقة كلّ الصفقات التي كان يديرها النظام، في حين أنّها تقضي على أسس الاكتشاف التي تبدأ من المدرسة أو البيت أو المراكز، وهذا ينطبق على جميع المجالات مثلما ينطلق على الدائرة العسكريّة حذراً من كلّ ما يمكن له أنْ يكون إنقلاباً على السطلة، وبناءً على هذا من النادر أنْ نجد شخصاً يصفّق لشخص آخر، فالتصفيق والإطراء حكراً لرأس السلطة أو ما ينوب عنه من بقيّة الدوائر التي تمّ تأسيسها على هذا المنهج، و هذا المنهج شربته الشعوب على مدار السنوات، ليصبح كلّ فرد من أفراد الشعب «عدواً للشعب» كما جاء في مسرحيّة هنريك إبسن.

راهيم حسّاوي

حلب: بين محاولة فكّ الحصار وتدميرها

لربّما لم تغب الطائرات يوماً عن سماء حلب وريفها منذ أكثر من ثلاث سنين، فهي المدينة الثانية في البلاد والتي استطاع مقاتلو المعارضة أن يدخلوا لأقسامها الشرقيّة والجنوبيّة وجزء من الشماليّة، بمعنى دخلوا إلى الأحياء الهامشيّة التي كانت تعاني من سياسة التمييز المتّبعة من النظام، تمييزاً في خدماتها وعمرانها لصالح الجزء الغربيّ من المدينة المنظّم والأكثر تخديماً.

عبر الطائرات والبراميل المتفجّرة والقنابل بكلّ أنواعها، وبدعم مباشر من الطيران الروسيّ الذي يميّزه الحلبيّون «بنعومة صوته ودقّة أهدافه» تمكّن النظام وداعميه من فرض الحصار على الأحياء الشرقيّة والجنوبيّة من المدينة والتي لا يزال يعيش فيها حتّى الآن نحو ٢٥٠ألف مواطناً، يتعرّضون لحالة قتل وتجويع جماعيّ لم يشهد لها مثيلاً تاريخ الحروب، باختصار لأنّها ليست حرباً، بل عمليّة قتل ينفّذها مجرمو حرب وزعران سلطة.

سعت فصائل المعارضة المسلّحة منذ شهرين بمحاولة كبيرة إلى فكّ الحصار ونجحت إلى حدّ ما، لكنّها لم تستطع الاستمرار بالمحافظة عليها لسببين: الأوّل كثافة القصف الذي قام به الطيران الروسيّ من جهة، والثاني تشابك المصالح الدوليّة في صراعها حول سورية ومفاعيلها. عادت المدينة ثانية للحصار وبقسوة أكثر، فالمواد تتناقص والقصف يتزايد، لكنّ غالبيّة الناس هناك رفضت عمليّة الإذلال التي قدّمها الروس والنظام في الخروج عبر ما يعرف بالممرّات الإنسانيّة/ البربريّة إلى الباصات الخضر، أثناء هدن لساعات ولا يحترمها من يعلنها.

عادت محاولات الفصائل مؤخّرا في سعيها إلى فكّ الحصار وسط ظروف أكثر تعقيداً، حيث انطلقت معركة الموصل التي يشرف عليها الأمريكان عبر تحالف كبير لطرد «داعش» من المدينة، والتي يعتبرها الأمريكان الخطر الأوّل في المنطقة كمنبع للإرهاب ومصدر لعدم الاستقرار، الأمر الذي يجعل الاهتمام بمدينة حلب أقلّ.

يضاف إلى ذلك التحضيرات لمعارك الريف الشرقيّ والشماليّ لحلب وتحريره من «داعش» والتنافس الكرديّ-الأمريكيّ مع التركيّ كمنطقة نفوذ بعد طرد «داعش». وسط كلّ هذه التعقيدات يأتي هجوم فصائل المعارضة من الجهة الغربيّة بقصد فكّ الحصار عن جزئها الشرقيّ أوّلا وتحرير كامل المدينة ثانياً، ليكتسب أهمّيّة كبرى في حالة نجاحه ويشكّل نقطة تحوّل كبرى في تاريخ الثورة، كما العكس. وسط تلك الأجواء تطلق روسيا بوتين، التي تشعر باحتقار الغرب لها لسنوات، وتحاول اليوم عبر تدمير سورية، أن توجّه في جزءاً من عملها المتوحّش رسالة إلى الغرب وأمريكا، بأنّها لم تعد كما كانت، وأنّه يمكنها أن تفعل ما تريد، حيث تستجلب بذات الوقت حاملة طائراتها وبعض من طرّاداتها، لتقول لنا أوّلا، وللعالم ثانياً بأنّنا قادرون على فعل ما نريد ما لم تمتثلوا لنا أو تؤمّنوا مصالحنا. وتغطية لحربها المدمّرة تطلق هدنة مدّتها ساعات بغرض خروج المقاتلين والمدنيّين عبر ممرّاتها المزعومة، وهي تعرف أنّه لن يستجيب أحد لمساعيها، فقد جرّبتها أكثر من مرّة ولم تحصد النتائج التي تتمنّاها، لتتّخذ من عدم الاستجابة لشروطها المذلّة لبدء حملة قصف جديدة وبأنواع حديثة من الأسلحة والذخائر لربّما تجرّبها للمرّة الأولى في أجساد المدنيّين وبيوتهم.

أمّا إيران، الحليف القوي للنظام وصاحب المشروع المذهبيّ، فلم تعد تخفي نواياها عن مدينة حلب بأنّها مدينة شيعيّة قد تمّ اغتصابها ولا بدّ من عودتها، حيث تردّد تلك الأساطير الميليشيات الأكثر طائفية وبشاعة وهم الحشد الشعبيّ وحركة النجباء العراقيّتين اسماً والشيعيّتين مضموناً. تتشابك كلّ هذه التعقيدات الدوليّة والإقليميّة بعمليّة تصارع كبرى حول المدينة التي كانت حاضرة مدنيّة ومركز تواصل بين أوروباوآسيا في مسعى لتحويلها لمدينة رماد وإخضاعها لأهواء ومصالح غريبة عنها وعن أهاليها.

فروسيا، وبعد طول إهمال ومذلّة تلقّتها من الغرب عقب تفكّك الاتّحاد السوفياتّي في نهاية الثمانينيّات من القرن الماضي، تحاول اليوم استعادة شيء من مجد ضاع بواسطة المزيد من استخدام القوّة في سورية بقصد الحصول على ميزات هنا وفي أماكن أخرى وأهمّها في البلدان المجاورة لها، أوكرانيا مثلاً. وإيران، التي تسعى من زمن نشوء جمهوريّتها الإسلاميّة وكان من أهدافها نشر أفكار ثورتها، ناهيك عن المطامح الكبرى القوميّة لها، حيث أنفقت مليارات الدولارات، تجد الفرصة مناسبة أكثر من أيّ وقت لتحقيق ما تصبو إليه. والنظام، كأداة في يد أصحاب المشاريع الكبرى من داعميه، لا تنقصه العدائيّة تجاه المدينة، فهو وعلى الدوام يتّهمها بأنّها حاضنة «للرجعيّة والإرهاب» ويتشارك معه بعض «اليساريّين» من معارضيه، ورغم شبكات المحسوبيّة والفساد التي استطاع أن ينسجها في المدينة مكوّنا فئة من المؤيّدين له والمدافعين عنه لاعتبارات مصلحيّة وثأريّة. أيّ مصير ينتظر تلك المدينة التي احتضنت الجميع فكانت مثالاً للعمران والثقافة، وسط تقاطر «الوحوش من الجبال باتّجاه المدن» كما يقول حيدر حيدر؟.

أحمد عيشة

سالم الأطرش ابن الثورة المحاصر يقول من حلب مع الثوّار مكملين

طالما سعت وسائل الإعلام للحوار مع الشخصيات البارزة العاملة في الشأن العام، وطالما ابتعدت عن قصد أو بدن قصد عن حوار العاملين الفاعلين على الأرض، والذين اختاروا الالتزام بقضيتهم دون جعجعة ودون استعراضات إعلامية، عملوا بصمت، واختاروا أن يتابعوا بصمت.. كان قرارهم كلام أقل وعمل أكثر. كلنا سوريون، وفي سعي منها لتسليط الضوء على هؤلاء الجنود المعلومين، تبدأ بنشر سلسلة حوارات مطوّلة على صفحاتها للتعريف بهم وبأعمالهم...

هل لك أن تسرد لنا عن اللحظات التي قرّرت فيها الانخراط بالثورة، هل كان ذلك لأسباب عامّة أم خاصّة؟

شاهدت في الأخبار كيف انطلقت شرارة الثورة في درعا وكان عندي علم مسبق ببعض الممارسات الأمنيّة الإجراميّة على مدى العقود التي حكم فيها آل الأسد سورية.

شجعتني زوجتي على المشاركة في المظاهرات قائلة: إن لم تشاركوا الآن أنتم، سننزل الجمعة القادمة للمشاركة بدلاً عنكم فلا تلومونا.

كانت هذه الكلمات كافية لتكون دعماً إضافيًا لموقفي الرافض للظلم، كأسباب عامّة، و لسياسة القمع و الاستبداد الذي يمارسه النظام وأجهزته الأمنيّة ضدّ المواطنين العزّل، كثير من الخوف، من الاعتقال، الطرد من الوظيفة، الاختفاء داخل السجون مدى الحياة، القتل، تدمير عائلتي وأحبّائي، عدم قبول أحفادي وأحفاد أحفادي في أيّة وظيفة من وظائف الدولة، التنكيل بالعائلة، مصادرة الممتلكات.... وقليل من الشجاعة، الظلم عمّ الجميع، ربّما يصل إليّ في أيّة لحظة، لا يوجد حرّيّة رأي أو فكر ونحن كالآلات المستنسخة المطيعة... كلّ المخاوف كانت تزول مع أوّل صرخة تكبير في المظاهرة، وتتجدّد قبل المظاهرة التالية.

معلوم عنك أنّك صاحب خطّ متميّز، وأنّك صاحب اليد العليا بخطّ مئات اللوحات التي حُملت في المظاهرات، هل لك أن تحدّثنا عن الفارق بين العبارات في مرحلة السلميّة وما بعدها؟ هل تغيّرت حدّة العبارات التي خططتها، هل تبدّل كنهها مع الركون للقوّة العسكريّة الخفيفة التي حمى بها الجيش الحرّ المدنيّين؟

اللافتات واللوحات هي بوصلة الثورة برأيي قبل وبعد. في مرحلة السلميّة كانت تدور حول محور إسقاط النظام وتعرية جرائمه فيها محاولة لاستقطاب المزيد من المتظاهرين عبر كشف كذب النظام وإعلامه المزور. بعد المرحلة السلميّة أضيف إليها التنديد بالمجازر المتكرّرة والقصف الهمجيّ العشوائيّ وكثرة الضحايا.

كما أضيف إليها جانب ينتقد السلبيّات والأخطاء، وخصوصاً في الفكر المتطرّف لدى «داعش» مثلاً، واستنهاض الهمم ورفع معنويات الجيش الحرّ، والتركيز على الهدف الأساسيّ للثورة: إسقاط النظام، بسبب تشتّت الأهداف وتعدد المشاريع وتفرّق فصائل الجيش الحرّ .

بالطبع تغيّرت حدّتها فأصبحت أكثر بعداً وتأثيراً، في محاولة للتركيز على القيم والمبادئ التي قامت لأجلها الثورة، لإيجاد نقاط فارقة ومشرقة ومضيئة، تفصل الحقّ عن الباطل.

هل سبق لك أن خطّطت شيئاً من لوحاتك المميّزة ضدّ الجيش الحرّ أو ضدّ أيّ تنظيم مسلّح آخر ضمن الثورة؟

نعم. لوحات إسقاط تنظيم «داعش» قبل أن تبدأ معركته في حلب في عام /٢٠١٣/ . لوحات ضدّ خطف الناشطين في عام /٢٠١٣/ ضدّ «داعش» لدى اختطافها الكثير من الناشطين ومنهم: عبد الوهاب الملّا.

لوحات انتقاد لتجمّع «فاستقم كما أمرت» لدى قيامهم بمعركة فاشلة في حيّ الأعظميّة دون تخطيط أو تكتيك كافٍ. لوحات انتقاد للمؤسّسة الأمنيّة في حلب وللهيئة الشرعيّة. لوحات تطالب بتوحيد القضاء ورفع الظلم وتبييض السجون. لوحات ضدّ «جبهة النصرة» عندما قامت بالاعتداء على فصيل جيش حرّ (الزنكي). والكثير، لا أذكره الآن.

من كان يشاركك في صياغة العبارات؟

هل كانت عملاً فرديًّا أم تشاركيًّا؟ هل كانت رؤى واقعيّة أم مثاليّة تكاد لا تغادر اللوحة الكرتونيّة المكتوب عليها؟ أكثر العبارات كانت صياغة فرديّة، لكنّها مستمدّة من آراء الشارع، وآراء الثوّار عبر منشوراتهم الفيسبوكيّة، ومحاولة للتخلّص من الشوائب التي قد تمتزج بها الثورة. معظم اللافتات كانت للتعبير عن مواقف ثوريّة، وأساسيّات لا يمكن تجاوزها في محاولة للتركيز على الجانب السلميّ الذي بدأت به ثورتنا، وحتّى لا يقال إنّ السلميّة انتهت.

أعتقد أنّها كانت رؤى واقعيّة، متّصلة بما تعانيه الثورة السوريّة على الأرض من معاناة وتضحيات ونضال، لإسقاط عصابة الأسد. أرجو أن ترفق لنا أكثر اللوحات التي تعتزّ بها، وأن تذكر لنا السبب وتشرح لنا الواقعة. هل فكرت أن تقوم بعمل معرض لهذه اللوحات؟

نعم، لكن لم يسعفنا الوقت، لأنّنا في سباق دائم مع الزمن. للوحة المهاجرين أثر كبير في نفسي، فقد كان الشعور بالوحدة، وانقطاع العالم عنا أثراً كبيراً في كتابتها.

هل نجوت من اللوحات الفنويّة، بعد أن غلب على الشارع الثوريّ التفرّعات وما أصبح يطلق عليه الدكاكين الثوريّة؟ أم أنّك التزمت بالشارع وهمومه وبدون تصنيفات ضيّقة؟

الهمّ الأوّل والأخير كان الثورة السوريّة، وليس الثورة الحلبيّة، والابتعاد عن الطائفيّة والتخوين؛ لذا كان الالتزام بقضايا الشارع ومعاناة الإنسان البسيط في سبيل بناء مجتمع بديل، تسوده روح المحبّة والإخاء، وعدم تخوين كلّ من يعيش في مناطق النظام، إلّا الذين ثبت تورّطهم بقصف، ودماء الأبرياء.

لم ننجرف وراء أحد، لا تبعية ولا فصائليّة، قبلتنا الثورة وقيمها، حتّى لا يتسلّط علينا أحد.

تحدّث لنا عن أهمّ ما مرّرت به ضمن الالتزام بالمسلك الثوريّ من مناصب؟ أيّها تجده أكثر فائدة للمجتمع؟

سأبدأ السرد بعد دخول الجيش الحرّ، لأن النضال انتقل إلى العلنيّة: استمرّ العمل في المجال الإغاثيّ لإعانة العائلات المنكوبة، وزوجتي رفيقة عمري (رفيقة المظاهرات السلميّة) شاركت في العمل في المشافي الميدانيّة. و في نهاية عام /٢٠١٢/ بدأ العمل التطوّعي، ضمن مجلس ثوّار صلاح الدين، حيث اجتمعنا كمجموعة من الثوّار وبدأنا بتنظيف الشوارع من الركام الناجم عن القصف بهدف إعادة الحياة إلى المنطقة وتشجيع السكّان على العودة، وبقيت رئيس مجلس ثوّار صلاح الدين لغاية شهر شباط من عام /٢٠١٤/ وهو مجلس مبادرات تطوّعي ثوريّ، ثمّ استقلت من مجلس الإدارة.

كذلك، كنت رئيس المكتب السياسيّ لمجلس ثوّار حلب منذ نهاية عام /٢٠١٤/ لغاية نهاية عام /٢٠١٥/ الذي ساهمت بتأسيسه، وتمّ حلّه لتشكيل جسم أكبر.

في بداية الشهر الثالث (٢٠١٣/٣/٣) تمّ انتخابي لعضويّة مجلس مدينة حلب، حيث عملت كأمين سرّ المجلس المحلّيّ لمدينة حلب، لغاية الشهر السادس من عام /٢٠١٥/ لمدّة أربع دورات انتخابيّة، ثمّ تنحيّت جانباً لإفساح المجال أمام مزيد من الطاقات الشابّة، ولتداول المسؤوليّة، ولأنّني قدّمت ما عندي.

كنت أيضاً، أمين سرّ لجنة تمكين (مشاريع مجتمعيّة) قدّمت استقالتي في ٢٠١٥/١٢/١.

حاليًّا، أعمل مدير مركز «دارنا» الاجتماعيّ، في تعليم خياطة نسائيّة وتعليم لغة وحاسوب و.. وهناك الكثير من الأعمال والإنجازات التي تحقّقت بفضل تعاون رفاق الثورة.

أعتقد أنّ العمل ضمن المجال الخدميّ المدنيّ كانت من أهدافه إعطاء صورة جيّدة عن الثورة، وتغيير الطرق والأساليب التي كانت شائعة في عهد النظام من رشوة وفساد ومحسوبيّة و...، إضافة إلى الشعور الداخليّ العظيم عند محاولتك تقديم خدمة لأيّ كان.

كنت مع عائلتك ممن لم يخرجوا من داخل المناطق التي تخلّصت من السيطرة الأسديّة، فهل تشرح لنا أسباب ثباتك؟

أنا وزوجتي وأطفالي الثلاثة: وسام /١٢/سنة ، زين /١١/ سنة ، نايا /٣/ سنوات بقينا للأسباب التالية:

تخلي الكثيرين عن الثورة، وهجرتهم لأسباب مختلفة منها مسؤوليّتنا القديمة المتجدّدة في رفع الظلم وإسقاط النظام بطريقة ما.

كان الثوّار مسؤولين عن قيادة المرحلة، أطلقوا أهدافاً وبشّروا بمستقبل يُرفع فيه الظلم، وسارت واقتنعت بهم جموع الناس مسؤوليّة أخلاقيّة عدم ترك الناس ليلاقوا مصيرهم، ويقفوا وحيدين أمام آلة القتل والإجرام الأسديّة في الوقت الذي تخلّى فيه الكثير من الثوّار عن التزاماتهم وعهودهم، وحتّى لا تبقى الثورة مجرّد أقوال بل أفعال أيضاً، الهدف الأسمى هو التعشّق والارتباط بالأرض، حتّى لا تصبح حلب فلسطين ثانية، المساهمة في إكمال مسيرة البناء في شتّى المجالات: تعليماً وخدميًّا، والإصرار على روح الثورة.

كيف وجدت أصحاب الأمس وشركاء الأمس في الحلم، والذين تعاهدوا على اسقاط العصابة وأين أصبحوا؟ وهل صدقوا ما عاهدوا الله عليه من أمل منشود في التغيير؟ أم اتّضح أنّهم مجرّد تجّار كلام!؟

الكثيرين لم يصدقوا، هاجروا وتركوا البلد لكثير من الأسباب، أو أنّ الأمر كان فوق قدرة تحملهم، والكثير منهم فقد عائلته أو قُتل أو سجن.....

في الحقيقة نحن في تناقض مستمرّ حيال شعورنا تجاههم: مرّة نغفر لهم ضعفهم ونتمنّى لهم السعادة في حياتهم وطريقهم الذي اختاروه ونعذر بعضهم، ومرّات نكرههم لأنّهم باعوا أو تخلّوا عن كلّ شيء ومضوا، لكن ذلك أبداً لم يؤثّر على مواقفنا وطريقنا الذي اخترناه.

ما هي نصيحتك ضمن الحالة السائدة للشباب الثابتين الصادقين وما هي كلماتك لمن تركوا ورائهم الحلم بسورية أجمل بعد سقوط العصابة؟

ألّا يلتفتوا إلى الوراء، وأن يصبروا لأنّ النصر آت لا محالة مهما طال ليل الظالمين. أمّا بالنسبة للذين تركوا وراءهم أحلامهم وثورتهم، أنتم الخاسرون، ولن يغمض لكم جفن ولن تستطيعوا أن تسامحوا أنفسكم في كلّ مرّة تنظرون فيها إلى المرآة مع كلّ صرخة أو أنّة ضعيف أو صورة شهيد، لن يبني هذا البلد من جديد إلّا أبناؤه الصادقون.

نظرتك لمستقبل الثورة ضمن البيئة الحاضنة، هل فشلنا أم لازال هناك أمل؟

رغم الصعاب والمصائب التي مرّت على الثورة السوريّة، والتآمر الدوليّ القذر، ولعبة المصالح الدوليّة، إلّا أنّ الثورة قادرة على النهوض من جديد، فقط هي بحاجة إلى تنوير فكريّ لتطلع كالوردة من تحت الركام.

أودّ أن أكون صادقاً بالقول إنّنا فشلنا نوعاً ما، كوننا نخوض الثورة وحدنا، إلّا أنّنا لن نيأس، وسيزيد إيماننا ويقيننا بحتمية النصر، والأمل موجود طالما الله موجود. وقد كتبت المنشور التالي ليعبّر عن أحوالنا الحاليّة:

«مالي وش عايد حدا، حابب بس قول للناس: اش وجعكم؟ كيف بقدر ساعدكم؟ أو خفّف من آلامكم؟ كان بودنا بهالثورة نقدملكم كلّ شي فقدتوه من زمان .. حرّيّة.. كرامة.. عدالة.. مساواة.. حبّ.

بس فشلنا، وتكالبو علينا، ودخلوا علينا الحراميّة، والمتسلّقين، وكل شي كان عم ينبح بهالدنيا صار علينا أسد وظالم .. إي نعم فشلنا، ومنعتذر منكم يا أهلنا بس بحب طمّنكم.. وطمّن الشهداء اللي لسّه دمهم ما نشف: نحن لسّه مكمّلين، على الأقلّ لحتّى ننقذ ما يمكن إنقاذه، وما رح نتخلّى عنكم لحتّى نحقّق النصر على اللي ظلمنا كلّنا. سامحونا واغفروا لنا».

سالم الأطرش: خريج معهد متوسّط تجاري، اختصاص محاسبة، كان يعمل قبل الثورة موظّفاً، وكان رئيس شؤون العاملين في مديريّة الشؤون المدنيّة بحلب/ السجل المدنيّ منذ عام ٢٠٠٤ لغاية الشهر الثامن ٢٠١٢، واحد من أوائل الناشطين المدنيين في الثورة السورية، لُقب بخطاط الثورة، عمل أميناً للسر في مجلس مدينة حلب المنتخب في دورتيه الأولى والثانية.. ما زال مع عائلته يعيش في حلب المحاصرة ويرفض المغادرة

حاوره: عبد الكريم أنيس

رغم الحصار
"كلّنا سوريّون" في الغوطة الشرقيّة

لأنّ الحرّيّة عدوّهم اللدود، فهم يحاربونها كما لو أنّهم يحاربون موتهم القادم، وكأنّ معركتهم معها هي معركة حياة أو موت.

الأمر كذلك فعلاً، فالمعركة بينهم وبينها هي معركة نفي الآخر، وهم يدركون جيِّدًا أنّ الحرّيّة تعني نهايتهم، ولهذا فهم يترصّدونها أينما استطاعوا، ويحاربونها سواء أكانت واقعا معاشاً، أم كانت مجرّد فكرة.

هم حرّاس الاستبداد، الاستبداد الذي شيّده حافظ الأسد، لبنة، لبنة، وحشر سورية بكاملها فيه، حارماً السوريّين حتّى تنفّس القليل من هواء الحرّيّة، أو رؤية شمسها.

من أجلها عرف نحو مليون سوريّ السجون، ومن أجلها استشهد مئات الآلاف منهم. ومن أجل أن تبقى سورية عصيّة على الحرّيّة، دمّر النظام الأسديّ سورية، وشرّد أهلها، واستقدم كلّ مرتزقة الأرض ووحوشها، وباع الوطن للاحتلالات.

لكنّ الفكرة التي لن يعيها هذا النظام، هي أنّ الحرّيّة لا يمكن منعها، لأنّها فِطرة الإنسان، ولأنّها جزء من دمه وغريزته وسعادته، وأنّه سيظلّ يناضل من أجلها مهما غلا ثمنها.

ولأنّ الكلمة كانت في البدء، ولأنّ الكلمة هي توأم الحرّيّة، فقد عملنا كلّ ما بوسعنا لتصل «كلّنا سوريّون» إلى كلّ السوريّين أينما وُجدوا، ورغم أنّ مشوارنا لا يزال طويلاً، وأنّ النظام لا يزال مدجَّجا بكلّ أنواع الأسلحة، وبكلّ الأفكار المتعصّبة والمنغلقة، فإنّه لا يزال يواصل حربه كي لا تصل إلى أيّة نقطة من سورية.

لكنّنا استطعنا أن نكسر حصارهم، وأن نوصل «كلّنا سوريّون» إلى الغوطة الشرقيّة المحاصرة. هاهي «كلّنا سوريّون» في عددها الأوّل في الغوطة الشرقيّة.

نحلم أن نتمكّن قريباً من أن تصل إلى كلّ متر من أرض وطننا السوريّ. إنّها صوت للسوريّين وصرخة من أجل حرّيّتهم.

هيئة تحرير «كلّنا سوريّون»

في مقاهيهم والاندماج مرّة أخرى

«في القهوة»، بمثل شبه الجملة هذه، يختصر الكثير من السوريّين الكلام ويعطي موعداً، منهياً محادثة هاتفيّة أو زيارة لاستكمالها في جلسة في المقهى. وربّما ساهمت طبيعة أمكنة سكن اللاجئين من خيام (كامب) أو مهجع (هايم) أو حتّى شقق لكن صغيرة، كلّها ساهمت في رغبة اللاجئ بالاجتماع بنظرائه اللاجئين. كانت المقاهي في جميع المدن السوريّة، مكاناً للقاء الاجتماعيّ، رغم الضغط الأمنيّ الذي كان يشتدّ ويخنق المواطن أكثر بدءاً من استلام السلطة ممن قاموا بالانقلابات العسكريّة، وأشرسها ظهر مع انقلاب العسكريّ عام ١٩٧٠، إلى أن ملأت الحواجز العسكريّة شوارع وحارات سوريّة، منذ نحو خمس سنوات.

المقهى كالعادة

الشعوب وإن اختلفت عاداتها في الطعام والشراب، تنحو إلى اللقاء في أمكنة اجتماعيّة عامّة، ولا تشذّ ألمانيا عن هذه القاعدة، فالألمان اعتادوا أن يجلسوا في المقاهي والمطاعم، ليتناولوا القهوة (المفلترة) مع القليل من الحليب، وفطائر جبنة في المحلّات المنتشرة بكثرة في المدن والمناطق، إنْ في محلّات مخصّصة لذلك أو ضمن مراكز التسوّق الكبيرة (المولات). سوف تجد بعض السوريّين بينهم، من الذين يجارون أهل البلد، أو ممّن يحبّون أن يحافظوا على عاداتهم السابقة، بل ويتميّزوا، بأن يطلبوا قهوة مغليّة، ويسمّيها البعض بالتركيّة، لكنّ الأتراك لا يعرفونها، أو ربّما يطلبون القهوة الإيطاليّة (اسبرسّو).

نصف العمر

منذ نحو أكثر من سنة بدأت أعداد السوريّين بالتزايد في ألمانيا، ولكنّها لم تصل إلى حجم جاليات قديمة فيها، كالأتراك؛ ورغم وجود أعداد كبيرة أتت من دول المغرب العربيّ أو العراق، وقد التقينا ببعضهم، ممن وصل إلى ألمانيا منذ عشرات السنين، ففي أحد المقاهي الشعبيّة التي تغصّ بالعرب، قال رجل متقدّم في العمر: «أنا صار لي هون ٣٩ سنة، يعني أكتر من نصّ عمري بألمانيا، تركت لبنان ببداية الحرب، الله يلعن حافظ أسد بقبره.» وتابع الحاج «أبو سليم» دون أن ينتظر سؤالنا: «عايشين هون متل ما عم تشوف، والأيّام بتركض ركض، وهلق اللاجئين السوريّين كتروا، بس عاداتن متل عاداتنا، منحبّ نقعد بالقهوة، كانت الأركيلة مسموحة هون من زمان، من كم سنة منعتها الحكومة، وصرنا نشربها على الرصيف».

على الرصيف

تجد بعض المقاهي التي تغصّ بمن يتحدّثون بكلمات بلدانهم الأصليّة، من العراق وحتّى المغرب. وتجد الكثير من المحالّ التجاريّة التي تبيع مختلف أنواع النرجيلة منتشرة في الأسواق. خارج المقهى، تجد النرجيلة، رغم البرد القارس، مشتعلة، فالقانون الألمانيّ، لا يسمح بشكل من الأشكال، بالتدخين من أيّ نوع في الأماكن المغلقة، ويتحدّث البعض من الألمان، عن قوانين جديدة، ربّما ستمنع التدخين حتّى على أرصفة الشوارع!

العمل والهجرة

شابّ سوريّ حصل على اللجوء، ويبحث عن عمل، التقينا به أمام المقهى، على الرصيف، قال إنّ عادة شرب النرجيلة كانت لديه منذ أن كان في دمشق، هو يذهب يوميًّا إلى دورة اللغة الألمانيّة، ولكن ماذا سيفعل بقيّة الوقت، وقال إنّه يعمل أحياناً (بالأسود) على حدّ تعبيره (بشكل غير نظاميّ) ولكنّ العمل متقطّع وشاقّ، فهو على الغالب تحميل وتنزيل، وأضاف: «بيتصلّ واحد عنده سيّارة وبيقول عنده فرش بيت أو برّاد بده تحميل، ويمكن كذا يوم ما في شغل»، عاد الشابّ إلى سحب أنفاس من النرجيلة وقال: منقعد منتسلّى هون بالقهوة، منشوف الشباب، منلعب شدّة (لعب ورق) ومنشرب أركيلة». كرسون المقهى تدخّل في الحديث قائلاً: «أنا أعمل نظامي، عندي جنسيّة ألمانيّة، جئت من العراق هرباً من صدّام، وأفكّر أن أهاجر إلى كندا». يؤيّده الشابّ السوريّ: «والله كندا أحسن من هون بمليون مرّة» ويضيف بعد أن يلتفت إليّ: وبكندا في »أراكيل كمان معلّم، أراكيل على كيفك!».

يبدو الاندماج بعيداً عن طريق السوريّين في ألمانيا، والمقهى يشير إلى الكمّ الكبير من اللاجئين الملتفّين حول النراجيل وطاولات اللعب، أمّا مدارس اللغة فتشير إلى جانب آخر من المشكلة يحتاج إلى نظرة أخرى عليها.

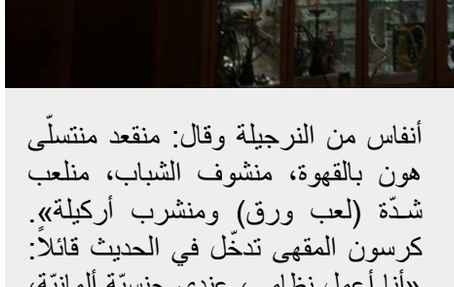

برلين/ بشّار فستق

فصل الشتاء، يخشاه أهالي ريف حمص الشماليّ التحوّل من نعمة وخير إلى نقمة

المشكلة منذ سنوات؛ إذاً لا بدّ لجهات العمل المدنيّ والسياسيّ، أن تبتكر الحلول الملائمة، إذ لا تعتبر هذه المشكلة طارئة ولفترة محدّدة، بل هي متكرّرة ومستمرّة.

بعد أكثر من خمسة سنوات ونصف على انطلاق الثورة في سورية، وبعد أن اشتدّ الحصار على أهالي ريف حمص الشماليّ، أصبحوا يعانون من ضيق العيش والحرمان والصعوبات في حياتهم اليوميّة.

أسعار لا تطاق

ومن أبرز هذه الصعوبات مواجهة فصل الشتاء والبرد القارص والثلوج، ومعاناتهم مع توفير أساليب التدفئة، بعد الارتفاع الكبير في أسعار المحروقات وفقدانها، في أغلب الأحيان بات الأهالي يستخدمون الحطب كوسيلة مساعدة وبديلة للتدفئة، ولكن ما لبث أن شهد الحطب ارتفاعاً كبيراً في سعره، ليصل سعر الكيلو الواحد من مادّة الحطب إلى /٧٩/ ل.س مبلغ لا يستطيع الغالبيّة توفيره، لأنّ العائلة الواحدة تحتاج حوال /٢,٥/ طنّ من الحطب ما يعادل سعرها نحو /٢٠٠/ ألف ل.س وهو مبلغ كبير يُشكّل أعباء إضافيّة .

أضرار وأضرار

لا يقتصر أسلوب التدفئة بالحطب على عبء توفيره، إذ يسبب أمراضاً عديدة، أخطرها الربو وأمراض الجهاز التنفسيّ عموماً والأمراض الجلديّة، بالإضافة إلى خطره الكبير على الأطفال .

وشكّلت قضيّة توفير الحطب كارثة على البيئة المحيطة، إذ اضطرّ السكّان لقطع الأشجار الموجودة في محيطهم، حيث بلغت نسبة الأشجار التي قطعت في عموم الريف نحو/٦٠٪/، هذا إضافة إلى خطورة التنقّل بسبب القصف المتواصل.

في محاولة للتخفيف من هذه المعاناة، قامت بعض المنظّمات في العام الماضي بتوزيع حصص من الحطب لم يتجاوز وزنها /١٠٠/ كيلو فقط، لا تكفي سوى يومين من أيّام الشتاء .

أعباء إضافيّة

ليست مشكلة التدفئة وتوفير المحروقات فقط، هي ما يعاني منها السكّان، فالعديد من الناس ما تعيش في بقايا بيوتهم المدمّرة، جرّاء آلة الحرب ومنهم قد بنى بيوتاً من الطين، أخرى من الصفيح، وبعضهم لا يزال يقيم تحت الخيام.

و يتطلّع أهلي ريف حمص الشماليّ الذين يعيشون حصاراً شبه كامل، إلى حلول جذريّة لهذه المشكلة المستمرّة منذ سنوات؛ إذاً لا بدّ لجهات العمل المدنيّ والسياسيّ، أن تبتكر الحلول الملائمة، إذ لا تعتبر هذه المشكلة طارئة ولفترة محدّدة، بل هي متكرّرة ومستمرّة، ولا بدّ من أن تتضافر جهود أبناء المنطقة مع الجهات المذكورة للتخفيف من أعباء هذه الصعوبات المُضافة إلى غيرها من أزمات معيشيّة خانقة.

إعداد: محمّد طه

ظاهرة العسكرة
و أثرها في الثورة السورية

مقدمة

أثارت ظاهرة العسكرة، التي وسمت الثورة السورية بميسمها بُعيد انطلاقتها بأشهر، كثيرًا من الجدل والنقاشات التي تمحورت حول حتمية هذا التحول عن السلمية من عدمه. ويُلاحظ من خلال تتبع هذا الجدل وتفحصه بالدرجة الممكنة من الموضوعية، محاولة المناهضين للعسكرة، بغض النظر عن دوافعهم وغاياتهم التي تستبطن أحيانًا موقفًا مناهضًا من الثورة، قطع هذه الثورة العظيمة عن شرطها التاريخي الذي انطلقت منه، وعن مجمل التعقيدات التي راكمها عنف النظام وهمجيته، والتدخل الخارجي الكثيف، وصراعات المشاريع والإستراتيجيات الإقليمية والدولية من أجل النفوذ والمصالح المتضاربة. هذا التدخل الإقليمي والدولي الذي عرّى بشكل جلي ماهية النظام السوري وارتباطاته المتشعبة والمتناقضة أحيانًا، وعمّق الدور الوظيفي المنوط به على مدى عقود في هذه المنطقة الحساسة من العالم.

كثيرة هي الأسئلة التي تفرض نفسها في هذا السياق.

فهل كان ممكنًا لسلمية الثورة السورية التي تبدّت في أرقى صورها، أن تستمر في مواجهة العنف الذي اتبعه النظام؟

وهل كان ممكنًا لورود غياث مطر في داريّا، أو متظاهري ساحة العاصي في حماه أن يتلقفها عناصر النظام وشبيحته؟

هل فعلًا كانت العسكرة هدفًا مضمرًا في صفوف الثائرين؟ وهل أضرّت العسكرة بالثورة؟ وكيف تبدّى هذا الضرر؟

وهل قطعت العسكرة الطريق بشكل نهائي على الفعل المدني السلمي بعد كل هذا الغوص في دماء السوريين؟

إن محاولة البحث عن أجوبة موضوعية حول الأسئلة التي طرحتها ظاهرة العسكرة في الثورة السورية، وليس من الضروري أن تكون هذه المحاولة حيادية، تقتضي الانطلاق، من حيث المبدأ، بأن ما جرى في سورية منذ ١٨ آذار/ مارس ٢٠١١، هو ثورة شعب خرج طلبًا للحرية والكرامة والعدالة، وهي لم تكن تحركًا حزبيًا أو فئويًا أو جهويًا بحتًا عن رفع مظلمة أو تحقيقًا لمطالب محدّدة، أو إصلاحًا لخللٍ اعترى الأداء الحكومي.

لقد راكم الواقع السوري، أقلّه منذ استيلاء البعث على السلطة في آذار/ مارس ١٩٦٣، من القمع والتضييق والتهميش والفساد الذي مارسه النظام، ما يحتاج إلى أكثر من ثورة.

وإذا كانت صفتا السلمية والعسكرة تنتميان إلى حيّز الأدوات، فإنه كلما تلاءمت أهداف الثورة وأدواتها، وناسبها الظرف الموضوعي، وتماسك واتّسع حاملها الاجتماعي، تصبح أهدافها قابلة للتحقّق، وكلفتها البشرية والمادية أقلّ.

وما دام ليس هذا واقع الحال في سورية، فإنه من هنا تنبع مشروعية السؤال حول العوامل التي ساهمت في تحوّل الثورة السورية نحو العسكرة، ومآلات هذا التحول.

ولا يخفى على أحد أن أيّ ثورة تحكمها سياقات سلمية وأخرى عنفيّة، وما يرجّح سياقًا على آخر، هو موقف الطرف السلطوي الذي تعمد (في حالتنا) العنف الممنهج منذ الأسبوع الثالث، وقنص المتظاهرين، والذي كان يرمي بالتهمة على من دعاهم بالمندسّين.

أولًا: حول السلميّة والعسكرة

لا يوفّر لنا تاريخ الثورات، قديمها وحديثها، أمثلة كثيرة عن تجارب خلت من العنف، والمعني بالحديث هنا الثورات التي قامت في وجه سلطات محلية مستبدة، وليس تلك الثورات الوطنية التي هدفت إلى تحرير بلدانها من محتلّ خارجي. وعلى سبيل المثال، فإن ثورات المجر ١٩٥٦ وتشيكوسلوفاكيا ١٩٦٨ وبولونيا ١٩٧٢ والثورة الخضراء في إيران ٢٠٠٩، قُمعت جميعها بالعنف العاري على الرّغم من توسّلها السلمية.

في حين أن الثورات الملوّنة في أوروبا الشرقية، من رومانيا وهنغاريا إلى أوكرانيا، إضافة إلى ما حدث في جورجيا، لم تُطلق في مواجهتها طلقة واحدة. وكذلك الحال مع ثورة الأرز في لبنان ٢٠٠٥ وثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ في مصر. في حين أن ثورة البوعزيزي في تونس، والسنتين الأوليين من الثورة اليمنية، شابهما شيء من العنف.

أما ثورتا ليبيا وسورية، فإن العنف الذي أفصح عنه نظامهما قد فاق التخيّل والتوقعات.

استعراض هذه التجارب يُبيّن أن الموجة الأولى من ثورات أوروبا الشرقية جاءت في ذروة الحرب الباردة، وكانت الدبابات السوفياتية جاهزة لاجتياح المجر وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا من أجل تثبيت أنظمة هذه البلدان.

أما في الموجة الثانية، فإن الاتحاد السوفياتي كان قد انهار، وانتهت مع انهياره الحرب الباردة، وبدا التغيير وكأنه تحصيل حاصل. فالقوى السلطوية القائمة فقدت مبرّر وجودها وقدرتها على المواجهة، ليس أدلّ على ذلك من إعادة السوفيات طائرة شاوشيسكو الهارب إلى بوخارست، ليواجه وزوجته على عجل حكمًا بالإعدام. أما في لبنان، فإن صدمة اغتيال الحريري، واستنفار القوى الخارجية، لجمت القوى المتحكّمة في الداخل اللبناني من أن تكشّر عن أنيابها. الوضع في مصر

كان أكثر مدعاة للحيرة، ويتسم بالتناقض، ذلك أن الجيش الذي حمى ملايين المتظاهرين في الثورة الأولى كانون ثاني/ يناير ٢٠١١، ورفض قمعهم، هو ذاته الذي قمع بوحشية ودموية المتظاهرين في ثورتهم الثانية حزيران/ يونيو ٢٠١٤، وهذا يُحيلنا إلى البحث في ماهيّة القوى المتحكّمة في القرار وتمركزها، وطبيعة الشروط التي تتحكّم بقرارها!

خلاصة القول، إن كل ثورة منوطة بشروطها، ولا تمضي بالضرورة وفقًا للسياق المرسوم لها، وكل التنظيرات التي تحاول وضع الثورات جميعها في جراب واحد، وتشريحها وفقًا لمسطرة نظرية، لا تعدو أن تكون تنظيرًا عدميًا، أو تهرّبًا من الاستحقاق الأخلاقي الذي يقتضيه زمن التغييرات العميقة.

ثانيًا: استدراج المجتمع للعسكرة

لم يكن السوريون يومًا مغرمين بالعنف، ولم يكونوا من دعاته، ولم يفوّتوا فرصة للتعبير عن دعواتهم ومطالبهم بالإصلاح بشكل سلمي إلا واستغلوها. يشهد لهم بذلك حراكهم الواسع في العقد الأول من القرن، حين أصدروا البيانات المطالبة بالإصلاح (بيان الـ ٩٩ وبيان الـ ١٠٠٠)، وأقاموا المنتديات التي انتشرت في المدن السورية كما الفطر، وتداولوا فيما بينهم الحوار حول الإصلاح وضروراته وأبعاده فيما عرف بربيع دمشق الذي قطعه النظام بالاعتقال والملاحقة بدعوى منع الانزلاق نحو "الجزائرة"، على ما قال نائب الرئيس، عبد الحليم خدام، حينها في خطاب له على مدرّج جامعة دمشق.

ومع ذلك تابع الناشطون السوريون حراكهم بالقدر الذي أتاحته الأحوال والأوضاع.

خرج السوريون في تظاهراتهم السلمية في آذار/ مارس ٢٠١١، تلك التظاهرات التي عمّت المدن السورية كافة، تضامنًا مع شهداء درعا الذين قتلهم النظام في مذبحة العمري وهم يتظاهرون لإطلاق سراح أطفالهم المعتقلين على خلفية كتابات طفولية على جدران مدارسهم.

واجه النظام المتظاهرين في مدنهم بالعنف الجسدي، مستخدمًا شبّيحته الذين جمعهم من موظفي الدولة برضاهم أو رغمًا عنهم. هذه الظاهرة الجديدة في طريقة تعامل النظام مع المتظاهرين التي تعمّدت وضع المجتمع السوري في مواجهة بعضه بعضًا، وقسّمته إلى معارضين وموالين، استمرت أشهرًا، لكنها بدأت بالانحسار التدريجي، حين بدأ النظام باستخدام الرصاص الحي، وقتل المتظاهرين بشكل تدريجي أيضًا منذ الأسبوع الثالث للثورة، وفقًا لخطة اعتمدها في سياق خياره الأمني الوحيد للتعامل مع الثائرين.

استُدرج الشارع السوري وثورته السلمية إلى التسلّح والعسكرة استدراجًا، لذلك لم تكن هذه الحالة خيارًا ذاتيًا للثائرين أو المتظاهرين السلميين الذين خرجوا من أجل الحرية والكرامة، والعنف الذي قابلهم به النظام بأدواته القمعية كافة، عبر إطلاق النار عليهم في الساحات والشوارع والأزقة، إضافة إلى عمليات التوقيف والاعتقال، ومن ثم التعذيب في السجون حتى الموت، كل ذلك وما شابهه، هو الذي دفعهم إلى حمل السلاح.

إن ظاهرة الانشقاق من داخل الجيش لبعض العسكريين الذين رفضوا أن يُطلقوا النار على أهلهم وذويهم وشعبهم، بعد أن زجّ النظام الجيش في مواجهة المدن الثائرة، ساهم في تسريع عملية التحوّل نحو العسكرة، كما عززها استمرار آلة الدمار والقتل، وتوسّع جرائم التعذيب والاغتصاب، وتعدّد المجازر واتّساعها، من دون أن يتمكن المحيط العربي والدولي من فعل أي شيء يُذكر لإيقاف ذلك كله.

المُتابع لمسيرة الثورة السورية يرى بشكل جلي أن كثيرًا من المدنيين الذين التحقوا فيما بعد بالجيش السوري الحرّ، هم ممن كانوا يتصدرون التظاهرات السلمية، وممن حملوا الشعارات واللافتات المطالبة بإسقاط النظام وإقامة دولة الحرية والقانون، ثم كانت بعد ذلك الصيحات والدعوات لعسكرة الثورة من أجل الدفاع عن النفس والأهل وحماية المتظاهرين.

كان من أسباب نشوء الجيش الحرّ العمل على تأمين الحماية الفعلية لتلك التظاهرات السلمية، ولجم قوات الأمن والجيش عن القيام بمداهماتها ضد المدنيين السوريين.

كما لم يكن إطلاق النظام لعشرات المعتقلين الإسلاميين المتشدّدين من سجونه في السنة الأولى للثورة، إلا بمنزلة ضخّ لهذه القيادات المتطرفة التي خبرها جيدًا، والتي أمضت سنواتٍ في المعتقلات، خاصة في سجنيّ تدمر وصيدنايا، للدفع في اتجاه العسكرة، كي يتمكن من صبغ الثورة بلون دينيّ متشدّد ومتطرّف.

ربما كانت هذه الخطوة إحدى الخطوات المفصلية التي ساهمت في تغيير مجرى الحوادث ميدانيًا وعسكريًا على مجمل الجغرافيا السورية؛ وليكون للنظام، بذريعتها، الحجّة لإنزال الجيش واجتياح المدن والبلدات، ونشر الدمار والخراب والموت، ومن ثم، ليستقدم، بعد ذلك، وبشكل علنيّ، الميليشيات الطائفية من لبنان وإيران والعراق.

لقد دفع النظام الثورة بكل قوته وجميع أساليبه إلى التسلح؛ فكان السلاح بيد الثوار تحوّلًا أراده النظام واشتغل عليه، واستطاع، عبره، جرّ الثورة إلى ملعبه، ملعب العنف الذي يجيده ويضمن الفوز له؛ بينما حمل الثوار والمدنيون السلاح للدفاع عن أنفسهم وأحيائهم وقراهم، ليصبح الأمر، بعد ذلك، ظاهرة عمّت المناطق السورية كافة.

ثالثًا: الجيش الحرّ ونشأته

مع تصاعد الثورة السورية، ومتابعة النظام استخدام القمع وسفك الدماء، راحت الانشقاقات في صفوف الجيش تظهر تباعًا، حيث ظهرت البوادر الأولى لما سُمّي بـ "المعارضة المسلحة"، وليتم، بعد ذلك، تشكيل حراك مُسلّح أُطلق عليه "حركة الضباط الأحرار"، حيث أخذت تتوالى بعده الانشقاقات عن الجيش، ليُعلن، من ثم، عن تأسيس "الجيش السوري الحر" للدفاع عن الشعب السوري ضدّ النظام القمعي والمستبدّ.

يمكن تقسيم مراحل تشكل الجيش السوري الحر إلى:

المرحلة الأولى: وهي التي انطلقت بداية شهر تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١١، حين تم تشكيل "المجلس الموقّت العسكري"، وتعيين رياض الأسعد رئيسًا له، مع ثمانية ضباط كأعضاء في المجلس، وكان من أهدافه إسقاط النظام، وحماية السوريين من القمع الذي يُمارس ضدّهم، والمحافظة على الممتلكات العامة، ومنع كل أنواع الفوضى مع سقوط النظام المتوقع.

المرحلة الثانية: وهي التي ظهرت مع الإعلان عن تكوين تنظيم أطلق عليه "المجلس العسكري الثوري الأعلى" في شباط/ فبراير ٢٠١٢، والذي أثار بعض الخلافات مع قيادات الجيش الحرّ المُشكّل سابقًا.

المرحلة الثالثة: وهي التي جاءت مع الإعلان عن تشكيل "قيادة مشتركة للجيش الحر" داخل الأراضي السورية، لتشمل محافظات دمشق، حمص، حماة، إدلب، ودير الزور.

المرحلة الرابعة: وهي التي واكبت تشكيل "القيادة المشتركة للمجالس العسكرية الثورية" في شهر أيلول/ سبتمبر ٢٠١٢، لتكون الإطار الأكثر اتساعًا وتنسيقًا بين وحدات الجيش السوري الحرّ.

المرحلة الخامسة: وهي التي أتت مع بداية تأسيس "مجلس القيادة العسكرية العليا" في كانون أول/ ديسمبر ٢٠١٢ إبّان مباحثات متتابعة بين قيادات المجالس العسكرية والثورية وقادة الألوية والكتائب، ليُصار إلى اختيار ٢٦١ ممثلًا عنهم، تمّت تسميتهم بـ "هيئة القوى الثورية"، وليجري بعدها تشكيل "مجلس القيادة العسكرية العليا" ليكون بمنزلة أعلى سلطة عسكرية في سورية، تقوم برسم السياسات العسكرية وصولًا إلى إسقاط النظام.

لم يخل العمل على تأسيس الجيش السوري الحرّ من مشكلات وإشكالات رافقت مجمل المراحل المشار إليها. وما كانت التطورات والمراحل المتعددة التي طرأت إلّا محاولة لحلّ بعض هذه الإشكالات، واستجابة لتلك التحديات التي كان في مقدّمها تلك الفجوة التي قامت بين القوات والقيادات الميدانية الموجودة على أرض المعارك، وبين تلك القيادات المقيمة على أراضي تركيا، وتراجع قنوات التعاون والتنسيق العسكري بين الخارج والداخل، الأمر الذي أسفر، مع استمرار التغيير في سياسات دول الإقليم، عن مسارات متناقضة، مضافًا إليها حالة التنافس والانشقاقات الداخلية التي ساهمت في خروج بعض القيادات العسكرية من الجيش الحر. وليس بعيدًا منها أيضًا النموّ الواضح لنفوذ كتائب ذات توجه إسلامي سلفي، مع تصاعد التنافس وحدّته العالية بين الكتائب الإسلامية المُشكّلة حديثًا والمجالس العسكرية التي تشكلت قبلها بمدة.

وساهم تنافس الدعم الخارجي بشكلٍ واضح في جفاف الدعم الموجّه إلى المجالس العسكرية والجيش السوري الحرّ، مُقارنة

بالضخّ المالي الكبير الذي صار يتوجه إلى تلك الكتائب الإسلامية التي باتت أقوى من مجالس الجيش السوري الحرّ الذي أخذت تحدث انشقاقات فيه لمصلحة الكتائب الإسلامية المدعومة ماليًا، الأمر الذي ساهم تدريجيًا بانحسار حجم وقدرة الجيش السوري الحرّ، على حساب تضخم الكتائب والألوية الأخرى.

ولعلّ إحدى أهم المشكلات التي ساهمت في تعثّر ظاهرة الجيش الحر، تكمن في أن حالة الانشقاق التي طالت عشرات الآلاف من الضباط وصف الضباط والمجندين، لم تجرِ من مؤسسة إلى مؤسسة أخرى بديلة، بل أخذت طابعًا فرديًا وعفويًا إلى حد بعيد حين لجأ كل منشقّ إلى بيئته الاجتماعية كي تحميه، وحين جمع كل ضابط في منطقته بعضًا ممن حملوا السلاح من المدنيين حوله. لكن مع اتساع ظاهرة الكتائب الإسلامية المسلحة، انضمّ كثير من أولئك المدنيين إليها لعوامل كثيرة منها القدرات العسكرية والمادية والتمويل التي توافرت لتلك الفصائل دون الجيش الحر. كما أن كثيرًا من الضباط المنشقين، وبعضهم لم يجد ترحيبًا من جانب الفصائل الإسلامية التي لم تحرص على استيعابهم والاستفادة من خبراتهم، انكفأ وانتهى به المطاف في الأردن أو تركيا انتظارًا لظرف أفضل لم يأت بعد.

رابعًا: دور الدول الإقليمية

بعد أن سيطرت المعارضة المسلّحة على بعض المنافذ الحدودية، خاصة الموجودة بين تركيا وسورية، بدأت العلاقة بين المعارضة المسلحة وتركيا تتعزّز، بما فيها العلاقة مع الجيش الحر وبعض الفصائل المسلحة الأخرى، حيث أضحت الحدود مع تركيا المعبر الأساس للسلاح وجميع الإمدادات اللوجستية للمعارضة المسلّحة داخل سورية.

كانت تركيا واضحة في ذلك بإعلان رئيس وزرائها في أيار/ مايو ٢٠١٣ أن المساعدات التركية للمعارضة السورية "تتركّز على الدعم اللوجستي"، وأن هذا الدعم "سيستمر"، كما كانت السعودية وقطر، الداعمين الرئيسيّين بالمال والسلاح للثورة السورية، وكذلك الداعمين المهمّين للمعارضة السياسية أيضًا، وساهمتا في عقد اجتماعات القوى المعارضة التي شدّدت (على اختلاف تسمياتها) على ضرورة توحيد ودعم المجالس العسكرية، ومجمل الكيانات العسكرية الثورية، وقيام قيادة عسكرية عليا تنضوي تحت لوائها التشكيلات المسلّحة.

خامسًا: الدور الأميركي في العسكرة

كان الدور الأميركي من المسألة السورية، ولا يزال، عاملاً مهمًا وأساسيًا في التحكم بما يجري في سورية.

فعندما دخلت الولايات المتحدة الأميركية في الصراع كانت لديها حساباتها الخاصة، وقد أبدت حساسية وتخوفًا، منذ البداية، من إمكانية تسليح المعارضة، خشية أن يصل الإسلاميون إلى السلطة في دمشق، لذلك أحجمت عن إعطاء سلاح للجيش السوري الحرّ، وتركت هذه المهمة لسواها من دول المنطقة، لكن مع الإصرار على تقنين هذا الدعم.

وأنشأت لهذه الغاية غرفتي توجيه ومتابعة (الموم والموك) في تركيا والأردن، علمًا بأن موقفها هذا شهد تطورات عدة فيما بعد، فمع تصاعد الصراع في سورية، جرى التصويت عبر لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأميركي خلال شهر أيار/ مايو ٢٠١٣ على مشروع قرار يسمح للإدارة الأميركية بتسليح مجموعات محدّدة في المعارضة السورية، حيث نصّ هذا القرار الذي فاز بأغلبية الأصوات (١٥ مقابل ٣) على "إعطاء الرئيس باراك أوباما حق التسليح لمجموعات في المعارضة السورية، وذلك وفقًا لالتزامات محددة مرتبطة بحقوق الإنسان، ورفض الإرهاب، ورفض انتشار السلاح الكيماوي، وبالتالي يتعيّن التأكد من هذه الالتزامات قبل إعطاء السلاح أو التدريب عليه".

مع هذا، ظلّت المساعدات الأميركية شحيحة ومتواضعة ومحددة ولفصائل بعينها، مع الإصرار على عدم تسليم المعارضة أي سلاح نوعي خوفًا من أن تقع في الأيدي الخطأ كما تدّعي.

سياسيًا، لم تعمل أميركا جديًا للإسهام في استصدار أيّ قرار دولي يسمح بتغيير المعادلات القائمة على الأرض بحيث تؤدّي إلى تغيير النظام، لاعتبارات مختلفة ومصالح متعددة، منها عدم وجود بديل ترضى عنه، وما زالت تستهلك الزمن لنضوجه، بما يتوافق مع إستراتيجيتها المعلنة التي تأخذ بصيغة لا غالب ولا مغلوب. من هنا يمكن تحميل الأميركيين والمجتمع الدولي ما آلت إليه الأوضاع في سورية، ومعهم جامعة الدول العربية. ومن هذا المنطلق، يمكن عدّ عسكرة الثورة إحدى نتائج تقاعس أميركا والمجتمع الدولي عن حماية المدنيين.

لم يكن ذلك التهديد العسكري، الجدّي والوحيد، الذي هدّدت به الإدارة الأميركية عندما استخدم النظام السلاح الكيماوي في الغوطتين، إلا من أجل سحب هذا السلاح لمصلحة الأمن الإسرائيلي، وليس لحماية السوريين الذين هاجمهم النظام بالكيماوي في مناسبات عديدة، في عام ٢٠١٣ وقبل ذلك وبعده. فمما لا شك فيه أن أمن إسرائيل كان، وما زال، واحدًا من الركائز الأساسية التي بُني عليها الموقف الأميركي من القضية السورية، دون أن يختصر هذا الأمر الموقف الأميركي برمّته؛ فأميركا دولة عظمى لها إستراتيجياتها ومصالحها الكونية، وعليه، فهي تنظر إلى التغيير في سورية، الذي فرضت حتميّته الثورة السورية، من منظار أوسع يأخذ في الحسبان حساباتها وصراعاتها الكونية، وتحديدًا في الشرق الأوسط، محدِّدًا لمواقفها السياسية، بغضّ النظر عن مدى الضرر الذي تُلحقه بتطلّعات الشعب السوري، وبالكلفة الباهظة التي ترتّبها على السوريين.

خاتمة

عوامل كثيرة، يأتي في مقدّمها عنف النظام، دفعت موضوعيًا الثورة السورية نحو العسكرة. وكلّما تعمّقت ظاهرة العسكرة، كلّما انحسر النشاط المدني السلمي وضاقت مساحاته، لأنه من غير الممكن أن تستمر التظاهرات والفاعليّات المدنيّة السلميّة في ظل قصف الطيران والمدفعيّة ولعلعة السلاح.

نعم! لقد أضرّت العسكرة بالثورة السورية، إلى هذا الحدّ أو ذاك، وأخّرت حصادها، ورفعت من كلفتها، وذلك من جانبين، أولهما: أن خفوت الصوت المدني السلمي، وامتداد زمن الثورة وما رافقه من فظائع، عمّق الانقسام المجتمعي، وأعطى النظام فرصته التي يريدها لإصباغ بعدٍ طائفيّ على الصراع، خاصّة عندما رفع شعار حماية الأقليات، واستدعى ميليشيات طائفية من العراق ولبنان وإيران، بحيث بات المقموعون في ساحات الصراع، في أغلبيّتهم، من لونٍ طائفيّ معين، والقامعون وداعموهم من لونٍ آخر، وكل ذلك تحت رعاية "الدولة"!؟ وربما هي المرة الأولى التي ترعى فيها دولة باسم القانون صراعًا من هذا النوع، الأمر الذي سمح لكثيرٍ من الأطراف والجهات، في الداخل والخارج على حدّ سواء، بتوصيف الحالة السورية بـ "الحرب الأهلية"، وهي لم تصبح كذلك حتى الآن.

أما الجانب الآخر، فهو طغيان ظاهرة الكتائب الإسلامية على المشهد العسكري في الصراع، الأمر الذي استدعى موقفًا دوليًا مناهضًا أو سلبيًا، وأنعش خوفًا أقلويًا مكبوتًا استفاد منه النظام الذي كان لخياراته، ولطبيعة البيئات الاجتماعية الثائرة، إضافة إلى مواقف الدول الداعمة، دور في ذلك. كما يُلاحظ أن الكتائب الإسلامية، تحديدًا تلك التي قوامها سوري ومشاريعها سورية، عجزت عن التوحّد حتى الآن على الرغم من أيديولوجيّاتها الواحدة ومن تقارب شعاراتها وخطابها. أما تنظيما "النُصرة" و "الدولة الإسلامية- داعش" اللذان يحملان مشروعًا إسلاميًا متطرفًا وعابرًا للحدود تحاول النُصرة ستره-، فقد أضرّا بالثورة السورية، خاصة داعش التي قاتلت الفصائل المعارضة أكثر مما قاتلت النظام، وسيطرت على مساحات واسعة في سورية أغلبها تم بتسهيل من النظام، ومارست عنفًا وإرهابًا موثقًا جيّش العالم ضدها وضد الثورة السورية في آن.

لم يغب الحراك المدني عن ساحة الثورة وإن خفت وهجه. فقد أثبت الشعب السوري، بحيويته وإصراره، أنه لن يوفّر أي شكل من أشكال النضال تتيحه الأوضاع السائدة؛ فما إن يتوقّف الرصاص حتى تخرج التظاهرات في شوارع القرى والبلدات والمدن مؤكّدة أهداف الثورة واستمراريّتها، هذا ما حصل في الغوطة وفي حلب وفي معرّة النعمان وإدلب وغيرها؛ وهذا هو رهان الثورة الأصيل، ثورة الحرية والكرامة، على أن تعاود الإمساك بمسارها من جديد، وعلى أنها ثورة قامت من أجل دولة وطنية حديثة ومجتمع ديمقراطي تعدّدي، وليس من أجل إحلال استبداد جديد محلّ استبداد سابق.

٨ تشرين الثاني / نوفمبر، ٢٠١٦

مركز حرمون للدراسات المعاصرة هو مؤسّسة بحثية وثقافية وإعلامية مستقلة، لا تستهدف الربح، تُعنى بشكل رئيس بإنتاج الدراسات والبحوث المتعلقة بالمنطقة العربية، خصوصًا الواقع السوري،

وتهتم بالتنمية الثقافية والتطوير الإعلامي وتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي وتعميم قيم الحوار واحترام حقوق الإنسان،

إلى جانب تقديم الاستشارات والتدريب في الميادين السياسية والإعلامية للجهات التي تحتاج إليها في المجتمع السوري انطلاقًا من الهوية الوطنية السورية.

يعمل مركز حرمون للدراسات المعاصرة لتحقيق أهدافه من خلال مجموعة من الوحدات التخصّصية

(وحدة دراسة السياسات، وحدة البحوث الاجتماعية، وحدة مراجعات الكتب، وحدة الترجمة والتعريب، وحدة المقاربات القانونية)

وعددٍ من برامج العمل (برنامج الاستشارات والمبادرات السياسية، برنامج الخدمات والحملات الإعلامية وصناعة الرأي العام، برنامج دعم الحوار والتنمية الثقافية والمدنية، برنامج مستقبل سورية)،

ويمكن للمركز أن يضيف برامج جديدة بحسب حاجة المنطقة والواقع السوري، ويعتمد المركز آليات متعدّدة في إنجاز برامجه، كالمحاضرات وورشات العمل والندوات والمؤتمرات والدورات التدريبية والنشر الورقي والإلكتروني.

مركز حرمون للدراسات المعاصرة

امرأة العصر الجاهليّ

يُطالعنا الإسلام دائماً على مسائل قد تبدو صحيحة بشكلها العامّ، دون الوقوف عند تفاصيلها والتدقيق فيها. ومن تلك المسائل التي مازال الكثير من أصحاب تلك الإيديولوجيّة يتباهون بها هي مسألة المرأة في الإسلام، وكيف أنّه جاء مُخلّصاً إيّاها من براثن عبوديّة الزمن الجاهليّ.

حاول القائمون على الإسلام دائما، وخلال أربعة عشر قرناً، أن يجادلوا بنفس الدوائر الضيقة من الثورة الإسلاميّة، وما فعلته تلك الثورة بتخليص البشر من الجهل إلى عصور الضياء والتنوير، أشياء تتعلّق بتطوير حياة الإنسان اقتصاديًّا ومعرفيًّا واجتماعيًّا.

ولست هنا بصدد تفنيد أو إثبات ما جاء في العصر الإسلاميّ من أشكال تطويريّة للحياة بقدر ما هو التركيز على مغالطة تقديم الزمن الجاهليّ بطريقة متخلّفة لإظهار الإسلام كمخلّص نهائيّ، وافتعال قطيعة ثقافية مع ذلك التاريخ من أجل عدم التفكير للعودة إليه كحالة معرفيّة او البحث فيه.

دائماً ما يُركّز الفكر الإسلاميّ ببحوثه المعاصرة، على تخلّف العصر الجاهليّ، وقيامه بممارسات تُخضع البنية العربيّة والثقافيّة لمرحلة من الانحطاط، لم يكن بمقدورها الخروج منها إلّا بوجود يد مساعدة لها، وتلك اليد كانت الإسلام. ولكن هل فعليًّا كان الزمن الجاهليّ وبالأخصّ في قضيّة المراة هو زمن انحطاط وتردٍ ؟.

تصف الكثير من كتب التاريخ الإسلاميّ، أنّ زمن الجاهليّة كان زمن احتقار للمرأة، وأنّها كانت في مرتبة أدنى داخل تلك البنية الصحراويّة، التي تمتلك عقليّة ذكوريّة، وكيف أنّ الإسلام أتى مخلّصا ذلك التأنيث من نير العبوديّة، وأعزّ المرأة بالكثير وطوّر مكانتها وانتشلها من مراحل التخلّف والموت القسريّ والجهل، واصفاً البشر الذين يعيشون في العصر الجاهليّ بالتوحّش الذي لا يقدّر الحياة والكائن.

فهل كان العصر الجاهليّ حقًّا بذلك الشكل الشنيع حول المرأة؟.

بداية، يجب التنويه لأمر مهمّ، وهو أنّ الإسلام قد جاء بقطيعة مع التاريخ الذي سبقه (الجاهليّ) وأنّ حقائق الجاهليّة قد كتبها المسلمون الأوائل، على اعتبار أنّ الجاهليّين هم مجموعة من القبائل التي انخرطت داخل الإمبراطوريّة الإسلاميّة فيما بعد، وبالتالي لم يصل من ذلك التاريخ سوى ما قاله الإسلام في دواوين كتبته فعليًّا، وبالتالي أنّه من الصعوبة الإجابة بشكل دقيق عن تلك الحقيقة في مكانة المراة إن كانت صادقة مع ما أورده الإسلام أم لا، لكن بعض الحوادث التي لم يستطع الإسلام إنكارها تجلعنا في موقع التساؤل حول تلك الحقائق، وهما مثالين بديهيّين، انتقلا من زمن الجاهليّة إلى العصر الحديث، يوضّحان الهالة التقديسيّة التي كانت الأنثى تحتلّهما في الجاهليّة.

المثال الأوّل وهو التعبّد الوثنيّ.

من المعروف والدقيق تاريخيًّا، أنّ المقدّس هو الصورة التي يخلقها الإنسان بلغة احترام لديه، فلا يمكن تقديس ما يُحتقر، ولا يمكن اختراع المقدس إن لم يكن يحظى بقبول وأهمية اجتماعية، ومن هنا نشأت فكرة التعبّد الوثنيّ الأنثويّ، بثالوث دينيّ وهنّ (اللات، والعزّى، ومناة).

تلك الآلهة الأنثويّة التي كان جميع الوثنيّين في العصر الجاهليّ يقدّسونها ويحترمونها، بل كانت تحتلّ المراتب الأرقى في ذلك الشكل التعبّدي، تلك الصيغة التعبديّة، وبعفويتها المطلقة، تثبت فعليًّا أنّ الأنثى في الجاهليّة كانت تحتلّ مكانة مرموقة في الوعي القديم.

على اعتبار أنّ أيّ تحليل أو تأويل للفكر لا يكون دقيقاً إذا أخرجناه من سياقه المعرفيّ.

وبالطبع لن يتوقّف الأمر فقط على إنشاء آلهة أنثويّة وعبادتها بشكل مستقلّ عن البنية المجتمعيّة ونظرتها للمرأة، بل هي تترابط بشكل متين ما بين التعبّد الألوهيّ والنظرة الاجتماعيّة.

قد يرفض البعض من المتشدّدين هذا الربط، لأنّ الاعتراف به قد يوصل لنتائج تعارض فكرة الإسلام عن تحريره للمراة من زمن العبوديّة الجاهليّة، لكن بكلّ الأحوال يبقى رفضاً خاضعاً لمعايير غير معرفيّة لحقيقة التاريخ، ممّا يجعله يلتف حول ذاته بشكل حلزونيّ ومتخلّف.

أمّا المثال الثاني، فهو حول مكانة المرأة في الجاهليّة، وهي النفوذ الاقتصاديّ والاجتماعيّ للمرأة، من أمثال عبلة بنت عبيد بن خالد، وسلمى بنت حريملة، والمثال الأبرز في التاريخ الجاهليّ هي خديجة بنت خويلد زوج النبي. لو كان فعليًّا ما حاول الإسلام إثباته دائماً من دونيّة المرأة في الجاهليّة وتخلّفها والتحكّم بها، لما كانت خديجة امرأة اقتصاد ونفوذ في الدرجة الأولى مثل كثيرات غيرها داخل ذلك المجتمع، ولها سطوة القول والفعل في مجتمع يُوصف بأنّه أذلّ المرأة وأنّ الإسلام هو من أنقذها من براثن العبوديّة.

ولم يقتصر دور خديجة كامرأة جاهليّة قبل إسلامها، مثل كثيرات غيرها، في الجانب الاقتصاديّ، بل كان لها الدور الأبرز في تأسيس الإمبراطوريّة الإسلاميّة سياسيًّا، على الأقلّ لاحتوائها الرسول كمرشدة ومفسّرة لما كان يعانيه في بدايات الوحي الذي هبط عليه.

هذين المثالين المتّفق عليهما في جميع السير التاريخيّة بما فيها الإسلام، يوضّحان بشكل بديهيّ وبدقّة ما كان للمرأة من هالة تقديسيّة ومكانة مرموقة واحترام قبل مجيئ الإسلام.

حاول رواة التاريخ الإسلاميّ وكتبته الأوائل، تزييف قدر ما يستطيعون من الجاهليّة العربيّة، وطمس معالمها بأدقّ التفاصيل، ليس انتقاماً وحقداً على تلك البيئة، لكن لمعرفة الإسلام الناشئ بقوّة تلك البيئة وأصالتها، وكي يتمكّن من إثبات تغيير نظرته التاريخيّة في الوعي المستقبليّ، فكان لا بدّ من أسطرة التاريخ بطريقة مخالفة عمّا كان موجوداً، ومن هنا كانت تنشأ فكرة التخلّف الجاهليّ.

تبقى مسألة المرأة في الجاهليّة عميقة بأبعاد كثيرة، وشرحها يطول وبتفاصيل طويلة، لكن حاولت هنا تسليط ضوء صغير على فكرة في ذلك العصر بأمثلة هي من البديهيّات لا تقبل الشكّ، وبالطبع كما قلت سابقاً، إنّ النقاش هنا ليس لتفنيد الإسلام، بل توضيح صورة مشرقة وحقيقيّة عن المرأة في زمن عرب الجاهليّة.

علياء الويسي

حوامل... والأطفال صرخة ضدّ الحرب

أرسل لي بعض المال من المهجر. أصمت احتراماً لحقّ الأمومة، ولفرصتها في الإنجاب.

لكن أسئلة كثيرة تطرق باب رأسي وتؤلمه. في الحديقة العامّة حيث تعيش بعض الأسر التي بلا مأوى، أحصي عشرات الأطفال دون الرابعة، ونسبة كبيرة منهم ترضع في العراء من صدور أمّهاتهم الضئيلة المرتخية، وشبه الضامرة والجافة، كلّ الأمّهات تقلن: إنّ الحمل والولادة ومجيء الأطفال إلى هذا العالم الرثّ والخرب، هو تدبير إلهيّ.

وتؤكّدن بأنّهنّ لا تتدخّلن في مشيئة الله. يمرّ جرذ بحجم رضيع أمام وجه طفل نائم، لا تكترث الأمّ ولا تصرخ. يمرّ الجرذ بسلام وأمان يفوق أمن وسلام الأطفال القابعين هنا، في عراء الشمس والبرد والريح والقذارة والجوع والتحرّش، وغياب الأب والأهل والوثائق الرسمية.

كلّهم غير مسجّلين في دائرة النفوس، كلّهم بلا مدارس وبلا لقاحات أيضاً.

على مقلب آخر، تجاهر أمّهات سابقات بقرارهن التوقّف عن الإنجاب، معظمهنّ أمّهات لطفلين، وكنّ قد قرّرن سابقاً إضافة طفل ثالث للعائلة، لكنهنّ يتمنّعن الآن، إمّا بسبب طول واتساع الفترة العمريّة مابين الطفل القادم، وآخر طفل ولد في العائلة، أو بسبب الغلاء الفاحش، أو التفكير بالسفر، أو لتحوّل شروط عيشهنّ من بيت ملكيّة خاصّة إلى وضع الإيجار، أو العيش المشترك مع العائلة الأم أو مع أقارب، أو في شروط سكن ضيّقة وسيّئة جدًّا ومرتفعة التكاليف.

بعض النساء الحوامل، تتبختر في أزياء الحمل الخاصّة، تحبّ شكلها وهي ترفل بصحّة وافرة، وتشكو من الريجيم القاسي الذي ستخضع له بعد الولادة لاستعادة شكلها وقوامها الأوّل قبل الحمل. بعضهنّ تنجبن نكاية بالحرب، وتقلن إنّ ضمّة وليدهنّ تساوي العالم بحاله.

أسألها عن خوف الابن من الأصوات، من الرصاص، عن خوفها على أبنائها من المرض، وعدم توفّر المستشفيات، أو الطرق الآمنة والسيّارات لنقلها عند المخاض.

يضحكن، وبعضهنّ يقلن: الحرب قد تدوم، لكنّ الأمومة لم تتوقّف ذات يوم ولن تتوقّف. بعضهنّ وبذلك خائبة تقلن: راح الكثير ونحتاج الكثير!

بانتظار رحيل الحرب أو توقّفها، ثمّة أجنّة كثيرة العدد تنمو في أحشاء نساء ليصرن أمّهات، أمّهات فقط، ويكفيهنّ ذلك.

عن "شبكة المرأة السوريّة"
سلوى زكزك

جورج طرابيشي"العقل لا يكون عقلاً إلّا إذا كان نقديّاً"

من العلمانيّة القوميّة إلى الوجوديّة الماركسيّة إلى الليبراليّة. هذا ما يمكن وصف الفكر الذي تطوّر فيه الكاتب والمفكّر النقديّ والمترجم جورج طرابيشي.

ولد المفكّر جورج طرابيشي في مدينة حلب السوريّة عام ١٩٣٩، لأسرة مسيحيّة متديّنة، وتلقّى تعليمه الأساسيّ في مدارسها، وتُعتبر بداياته في تلك المرحلة، أنّها أكثر انغلاقاً من أيّة مرحلة تالية، لما كانت تحتويه من تنشئة تعصّبيّة تسير في بنية الخوف الغيبيّ.

لكن مع دخوله مرحلة الفتوة، بدأ طرابيشي ينظر لتلك المعضلة النفسيّة داخله على أنّها غير دقيقة. يقول طرابيشي في إحدى حواراته متحدّثاً عن تنشئته: «قلت بيني وبين نفسي: لا، إن الله ذاك الذي حدّثني عنه الكاهن، لا يمكن أن يوجد، ولا يمكن أن يكون ظالماً إلى ذلك الحدّ. ومنذ ذلك اليوم كففت عن أن أكون مسيحيّاً». كانت تلك المرحلة هي بداية طرابيشي للانطلاق لفهم العالم بطريقة جديدة، متخلّصاً من إرث الخوف الغيبيّ، ليدرس العلوم ويحلّلها بطريقة مغايرة كلّيّاً.

استمرّ طرابيشي في دراسته الثانويّة داخل مدارس حلب، حيث كانت البلاد قد دخلت مراحل الانقلابات العسكريّة، وتحالف الأحزاب كالبعث والشيوعيّين والإخوان ضدّ حكم الشيشكلي وما تلاه من سلطات انقلابيّة، في تلك الفترة انضمّ طرابيشي لحزب البعث الاشتراكيّ، وأصبح عضواً سياسيّاً فاعلاً، نتيجة اجتياح الفكر اليساريّ للعالم، كمرحلة تاريخيّة.

وتبنّي الأحزاب القوميّة المنهج الاشتراكيّ. انتقل بعد ذلك إلى دمشق، فدرس في جامعتها، وحصل على إجازة في اللغة العربيّة، وماجستير في التربية، قبل أن يصبح مديراً لإذاعة دمشق عامي (١٩٦٣ - ١٩٦٤).

بالطبع لم يطل الأمر بطرابيشي ضمن العمل السياسيّ، فاستقال من حزب البعث بعد سنة من توليه حكم سورية، نتيجة بعض الخلافات السياسيّة والإيديولوجيّة. ذلك الابتعاد عن السلطة الحاكمة، جعله هدفاً للاعتقال، فدخل السجن كمعارض سياسيّ لحزب البعث.

يتحدّث طرابيشي عن تلك الفترة والمواقف التي جابهته، والتي كانت السبب في تحديد عقليّته الجديدة بالنظر إلى العالم والفكر.

يقول: "كان معي ستّة من المسيحيّين البعثيّين، وفي إحدى النقاشات داخل السجن، دار حديث حول الشرف الجنسيّ، وضرورة قتل المرأة إذا أقامت علاقة جنسيّة غير مشروعة، ونتيجة الصدام في ذلك النقاش، بأنّي لا يمكن أن أقتل ابنتي "مايا" إذا أخطأت، تمّ أخذ موقف منّي وتمّ وصفي بأنّي غير عربيّ ولو كنت معارضاً مثلهم للتيّار الحاكم. بعد تلك الحادثة طلبت نقلي إلى غرفة منفردة، وأدركت حينها أنّ المسألة ليست مسألة تغيير سياسيّ، وليست القضيّة قضيّة مسلمين أو غير مسلمين، مسيحيّين أو غير مسيحيّين، من حيث الوعي الاجتماعيّ ولو كانوا ينتمون إلى ايديولوجيّة واحدة. إنّها قضيّة بنية عقليّة في المقام الأوّل".

بعد تجربة طرابيشي تلك، وبعد خروجه من السجن، تفرّغ للعمل الكتابيّ والفكريّ، فأصدر مجموعة من المؤلّفات، الماركسيّة والمسألة القوميّة \ سارتر والماركسيّة \ الصراع الصينيّ السوفيتّي \ الماركسيّة والإيديولوجيا \ الاستراتيجيّة الطبقيّة للثورة. بالطبع تميّزت تلك الفترة من إنتاجه بجانبها النظريّ وإسقاطات الفكر على التجربة العربيّة، مثل جميع المفكّرين في تلك المرحلة أو المراحل السابقة لها.

لكنّ الأمر لم يطل بطرابيشي البقاء، فانطلق نحو بيروت وأصبح رئيس تحرير مجلّة دراسات عربيّة (1972 - 1984)، وفي تلك المرحلة، بدأت نظرة طرابيشي تأخذ بعداً فكريًّا جديداً، وتركّزت على الجانب الأدبيّ أكثر منه جانباً سياسيًّا تنظريًّا، فأصدر مؤلّفاته (عقدة أوديب في الرواية العربيّة \ شرق وغرب، دراسة الجنس في الرواية \ الأدب من الداخل \ رمزيّة المرأة في الرواية).

وتميّزت فترة إقامته في بيروت أنّها ترافقت مع الحرب الأهليّة في لبنان، فلم يعد قادراً على الاستمرار، لذلك بدأ مشروعه للانطلاق نحو فرنسا، فأصبح محرِّرا رئيسيًّا لمجلّة الوحدة بين عامي (1984 - 1989).

وبقي في فرنسا حتّى وفاته لعام 2016، متفرّغا للكتابة والتأليف والترجمة.

تعتبر فترة حياته في فرنسا، هي المرحلة الأكثر إنتاجيّة، ورسوخا فكريًّا لمنهج طرابيشي ونظرته النقديّة اتّجاه العالم، فبالإضافة إلى ترجماته المهمّة لأعمال فرويد الكاملة، وبرهيية، وبعض كتب ماركوزه وسارتر وهيغل.

قدّم مؤلّفات نقديّة في التراث والفكر العربيّ، مثل (المثقّفون العرب والتراث \ مصائر الفلسفة بين المسيحيّة والإسلام \ من النهضة إلى الردّة \ من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث \ مذبحة التراث في الثقافة العربيّة المعاصرة \ المعجزة أو سبات العقل في الإسلام).

ويمكن القول إنّ جوهر نظرته النقديّة تجلت في كتابيه هرطقات ونقد نقد العقل العربي، الذي احتاج من طرابيشي ربع قرن من القراءة والبحث والمعرفة، ليُنتج الأجزاء الأربعة، الذي اعتمد فيه إعادة نقد فكر المفكّر المغربيّ محمّد عابد الجابريّ.

وبرغم كلّ الانتقاد الذي تمّ توجيهيه لطرابيشي في مؤلّفاته، من أنّه تعامل مع مصادر التراث كما هي دون غربلة، وأنّه ركز على موضوع خطورة الانتقال من القرآن مصدراً إلهيًّا ووحيداً للتشريع إلى السنّة ووضعها في مرتبة تشريعيّة، واعتباره ذلك محطّة جعلت العقل العربيّ ينكفئ على نفسه، إلّا أنّ كلّ ذلك النقد، بقي أسيراً لفكرة النقد، دون انهياره حقيقة، فأعمال طرابيشي ورغم عدم دقّتها، إلّا أنّها تدخل ضمن بنية افتراضيّة للواقع العربيّ والتاريخ دون القدرة على إثبات خطئها، وهذا ما جعل فكر طرابيشي إشكاليًّا قليلاً، فنقده للفكر القديم جاء كصيغة تحليلية للبنية الأساسيّة للفكر العربيّ وإيجاد الثغرات داخله، وليس محاولة إعادة ترميمه، أو تأويل للنصّ القديم، وهو ما كان مغايراً لمفكّري وباحثي التراث جميعهم، الذين عملوا جاهدين لإعادة خلق التراث أو الالتفاف عليه للرفع من شأنه.

يمكن القول إنّ طرابيشي كان ناقداً حادًّا أكثر منه بنائيًّا مُرمِّما، وهذا السبب هو ما أثار حفيظة كثير من المفكّرين المعاصرين، وإدخال طرابيشي في بنية المترجم الجيّد والمفكّر السيّء.

في كتابه نقد نقد العقل العربيّ، الذي جاء كصيغة نقديّة عن أعمال محمّد عابد الجابري، وردًّا على الفكر الذي أنتجه، استطاع طرابيشي تحديد النقاط الجوهريّة التي انطلق منها لنقد الجابري، حيث يُعتبر الأخير أحد أهمّ أعلام الفكر المعاصر وباحثاً في مسائل التراث والتاريخ.

ينقسم كتاب نقد نقد العقل العربيّ إلى أربعة كتب متتالية، وهي: نظرية العقل العربي \ إشكاليات العقل العربيّ \ وحدة العقل العربيّ \ العقل المستقيل في الإسلام. ويمكن لنا تلخيص تلك الكتب الأربعة ببعض النقاط التي تمّ من خلالها نقد فكر الجابري.

يرتكز طرابيشي بداية على أنّ اعتماد الجابري بأنّ الحضارات الثلاث (اليونانيّة والعربيّة والأوروبّيّة الحديثة) هي وحدها التي أنتجت ليست فقط العلم، بل نظريات العلم. ومن هنا انطلق النقد الأوّل لطرابيشي بأنّ الجابري قد مارس حالة من الامبرياليّة على فكر الحضارات الأخرى التي لا تنتمي لهذه الحضارات الثلاث، وأنّ الجابري أعاد استنباط نظريّة هيغل في الحضارة وأعاد تسويقها، ممّا جعله يستدل بشكل مغلوط أنّ الحضارة الأوروبّيّة بمراحلها وأشكالها كافّة هي في رأس الهرم المعرفيّ، فأعاد الجابري نظريّة هيغل بصياغة أخرى بتقسيمه منتجي الحضارة إلى يونان وعرب أوروبا.

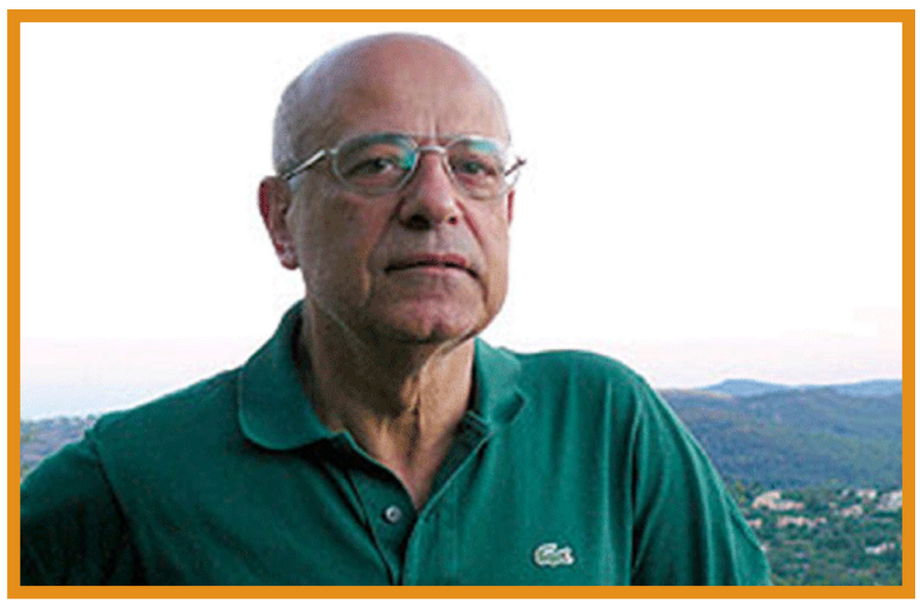

ذلك الاستدلال جعل الجابري ينظر لتاريخ المنطقة والشعوب التاريخيّة بحضاراتها أنّها كانت تعيش مراحل من إنتاج الشعوذة كمصر وبابل، ولم تعمل كعلوم يمكن أن تفيد الإنسان والحضارات، وهذا ما أثار حفيظة طرابيشي.

واعتمد الجابري تشطير العقل المُكوَّن إلى ثلاثة أقسام، بيانيّ وعرفانيّ وبرهانيّ، وأنّ هذا العقل المشطور خضع لمجمل من العلوم المتناقضة، وأقام تحالفات لإنتاج مادّة استمرار سياسيّ وليس معرفيّ.

فقام بإخراج الغزالي وابن سينا والرازي كأمثلة من البنية العقليّة المعرفيّة، لما احتوته علومهم من تضادّ لبنية العقل، وهذا ما توقّف عنده طرابيشي مطوِّلا لفهم آليّة ذلك التناقض الذي تحدّث عنه الجابري.

لقد اعتمد طرابيشي في فكره على متناقضات الفكر التراثيّ، لإيقاف سيل التأويل المحتمل الذي أقامه مفكّرو العصر الحديث، فبحسب رؤيته، أنّ تجميل التاريخ والتراث من أجل النهوض بالواقع الحاليّ إلى مستوى أفضل، ليس سوى إعادة خلق البنية المتخلّفة برداء زائف، ومن أجل معرفة ذلك التاريخ، يجب تعريته كاملاً من كلّ زيف الحضارة، وتوضيح حتّى أدقّ تأويلات الفكر المعاصر بالنسبة لذلك التراث.

قد يكون ذلك السلوك الفكريّ الذي أنتهجه طرابيشي في مجمل أعماله قاسياً قليلاً، ومزعجاً في تشريح حضارة لها آثار طويلة في المنطقة والعالم، لكن لا بدّ من ذلك. فمرحلة الانحطاط الفكريّ والاجتماعي المعاش، لا يعيدها طرابيشي فقط لبنية سياسية قائمة فقط، بل لأنّها جوهر أصيل في نشوء ذلك الفكر وتأثيراته على العالم والواقع. وتبقى مسألة النقد الذي تمّ توجيهه لفكر جورج طرابيشي، هي مسألة معرفيّة، فأيّ فكر يمكن أن يخضع لمراحل من الزلزلة والأخطاء، وهذا أمر طبيعي للوصول إلى نتائج معرفيّة أكثر عمقاً. إنّها جزء من بنية الحياة.

خالد علّوش

تأصيل تاريخيّ للعلمانيّة في التاريخ والتراث الإسلاميّ

نقش في البورتريه

من الأسلحة الفتاكة التي حوربت بها العَلمانيّة (بفتح العين نسبة إلى العالِم) في العالم العربيّ، وفي العالم الإسلاميّ معاً القول إنّ العلمانيّة اختراع مسيحيّ، أو استقراء لأوروبّا المسيحيّة التي أوجدت العلمانيّة حلّا للصراع الكبير الذي امتدّ أكثر من مائة عام بين الكاثوليك والبروتستانت، وجاء عمل الاستشراق ليؤكّد أنّ العلمانيّة هي بالفعل من وجهة نظر استشراقيّة ابتكار مسيحيّ لا يمكن أن يطبّق على التاريخ الإسلاميّ؛ لأنّ العلمانيّة موجودة بالنصّ التأسيسيّ للمسيحيّين الذي هو الإنجيل، ولا وجود لها في النصّين التأسيسيّين للإسلام اللذين هما القرآن والسنة معاً.

ولكن عَلام يستند هؤلاء المستشرقون في دعواهم هذه؟ إنّهم يستشهدون بآية واحدة وجدت في الإنجيل، وهي قول المسيح لفقهاء اليهود الذين سادوه "أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، واعتبروا أنّ هذه الجملة الوحيدة في الإنجيل ميّزت بين حكم الدنيا وحكم الآخرة، وبين الدولة والدين، وبالتالي أمكن لأوروبّا المسيحيّة أنّ تنجز العلمانيّة.

ما وجدته في تاريخ الإسلام يعادل، بل يزيد بكثير عن هذه الجملة الإنجيليّة المميزة بين الله وقيصر، ففي حديث الرسول؛ والمعروف بحديث تأبير النخل، حيث كان الرسول مارًّا بحيّ من أحياء المدينة، فسمع أزيزاً فاستغربه، فقال: "ما هذا؟" فقالوا: "النخل يؤبّرونه" أي يلقّحونه، فقال وهو الذي لم تكن له خبرة في الزراعة: "لو لم يفعلوا لصلح"، فأمسكوا عن التلقيح، فجاء النخل شيصاً، أي لم يثمر، فلمّا ارتدّوا إليه يسألونه قال قولته المشهورة: "أنتم أعلم بأمور دنياكم"، وقد روى هذا الحديث من جملة رواته عائشة، وأنس بن مالك بصيغ أخرى.

هناك حوالي خمس عشرة رواية تؤكّد على هذا المنحى التمييزي بين الدنيا والآخرة، بين شئون الدنيا التي يعلمها الناس، وشؤون الآخرة التي هي علم إلهي عند الله، وما أتى به الرسول فهو تركيز على الجانب الأخرويّ، وهذا في نصّ الحديث.

وإذا كانت الجملة الإنجيليّة "أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله" هي سبب العلمانيّة، فأنا عندي أنّها في حديث تأبير النخل وما شابهه؛ وفي حديث القضاء أيضاً معنى آخر لهذا الفصل، حيث يقول " إنّي أقضي بينكم بما أسمع، فإن قضيت لمسلم من حقّ أخيه بالباطل، فإنّي أكون قطعت له قطعة من جهنم"، فالرسول يعترف بالجانب البشريّ من شخصيّته، وفيه شيء يؤدّيه عن الله أي الجانب الرساليّ وهذا تمييز كبير أيضاً يؤكّد التمييز بين المستويّين الأخرويّ والدنيويّ.

أنا أذهب إلى أكثر من ذلك فأقول: إنّ الجملة الإنجيليّة ليست هي التي صنعت العلمانيّة الأوروبّيّة، بل العلمانيّة الأوروبّيّة الحديثة هي التي اكتشفت أهمّيّة هذه الجملة في الإنجيل، والدليل أنّ المسيحيّة بقيت على مدى خمسة عشر قرناً تجمع بين الدين والدولة، وتكاد تؤلّه الإمبراطور البيزنطيّ، وتخلط الدين بالسياسية، ولم تفرّق بينهما، ولم تكتشف هذه الجملة الإنجيليّة إلّا بفضل العلمانيّة، فعندما جاء أهل الحداثة في أوروبّا وحتّى يقنعوا المؤمنين المسيحيّين بأنّ العلمانيّة لا تتعارض مع الدين أعطوا أهمّيّة كبيرة لهذه الجملة التي أهملت طوال خمسة عشر قرناً من تاريخ المسيحيّة، وأنا أقول الشيء نفسه في الإسلام فليس حديث "تأبير النخل" هو الذي سيصنع العلمانيّة، وإنّما عندما يحدث وعي علمانيّ سنكتشف أهمّيّة الجملة الموجودة في الحديث وغيرها.

أقول كلّ ذلك ردًّا على النظرة الاستشراقيّة التي تريد أن تخرج العالم الإسلاميّ خارج دائرة التاريخ الحديث، وأنّه لا مدخل له في هذه الحداثة لسبب دينيّ، ودعوتيّ هي من أجل إعادة اكتشاف أهمّيّة هذا الحديث الذي ورد بأكثر من خمس عشرة صيغة في جميع مسانيد كتب الحديث.

من حوار مع الكاتب أجراه: هادي يحمد

جورج طرابيشي

ممدوح عدوان (1941 – 2004)

كاتب وشاعر ومسرحيّ سوريّ ولد في قرية قيرون بالقرب من مصياف في محافظة حماة، وتخرّج في جامعة دمشق - قسم اللغة الإنجليزية ١٩٦٦، عمل صحفيًّا منذ ١٩٦٤، وكتب المقالة في العديد من الصحف السوريّة والمجلّات العربية حتّى وفاته. وقد بدأ نشر الشعر منذ عام ١٩٦٤ في مجلّة الآداب اللبنانيّة والمجلّات العربيّة الأخرى.

وترك وراءه ٢٦ مسرحيّة مطبوعة قدّمت على المسارح في سورية وفي دول عربيّة متعدّدة. كما نشر ١٧ مجموعة شعريّة في دور نشر سوريّة وعربيّة، ومجموعتي «مختارات» نشرتا في القاهرة.

كما نشر ٣٠ كتاباً مترجماً عن الإنكليزيّة في الأدب والفكر والمسرح.

وأصدر ستّة كتب نثريّة حول هواجسه في الأدب والفنّ والحياة عامّة.

*مجتمع المتنمّرين ممدوح عدوان

في الإعادة إفادة

كلّ نظام استبداديّ يطرح هذه الظاهرة الخطيرة. إنّ صلاحيّات الجلّادين المذعورين الراغبين في الانتقام من ماضيهم لا تقتصر على الزنزانات، بل إنّ هؤلاء الجلّادين ينقلون زنزاناتهم وسياطهم ووحشيّتهم معهم أينما تنقّلوا، ويحوّلون المجتمع كلّه إلى زنزانة واحدة كلّ إنسان فيها معرّض للضرب والإذلال والإهانة والسلب في أيّة لحظة، ومن دون سبب واضح بالضرورة.

وهؤلاء الذين ينشرون الذعر يشعرون، بوعي أو من دون وعي، بأنّهم يتحرّكون ضمن مجتمع مذعور، فتظلّ غرائزهم العدوانيّة مستيقظة ومستمتعة بذلك الذعر الذي يسود المجتمع.

هم أنفسهم قد جاؤوا من أُسر وأوساط مذعورة، ولكنّهم الآن، وبفعل الصلاحيّات الممنوحة لهم من قبل النظام والمتاحة أمامهم بفعل خوف الناس، وبرغبتهم في الانتقام من ذعرهم السابق المخبوء في نفوسهم، وبمقدار ما يخافون من أن يقعوا فريسة النظام، فإنّهم في كلّ تفصيل من تفاصيل سلوكهم يريدون أن يتأكّدوا أو يؤكّدوا للآخرين خروجهم من دائرة الذعر، ومع إحساسهم بأنّ خروجهم محدود وضئيل إلّا أنّ فرحتهم بذلك تدفعهم إلى البطر.

وإذا كان هذا الإحساس بالنجاة المحدود من مدحلة السلطة يلجم شيئاً من تصرّفاتهم، فإنّ هذه التصرّفات تنفلت من عقالها انفلاتاً نهائيًّا حين يتصرّفون بأوامر واضحة من الرؤساء: مثل قمع تمرّد شعبيّ أو تظاهرة طلّابيّة أو احتجاج وظيفيّ أو عمّاليّ.

إنّ كلّ نظام قمعيّ يحتفظ بقوّة منظّمة من هذا النوع لمواجهة الأزمات، فهذه القوّة هي التي تقمع عند الضرورة بلا تفكير وبلا وازع، تطلق النار على أيّ هدف، وتضرب أيّ إنسان من دون تمييز في عمره أو جنسه، وهي بلا ثقافة، والنظام يحرص على أن يحدد ثقافتها بإطاعة الأوامر

(وقد جاء في أسس النظام العسكريّ: نفّذ ثمّ اعترض، فالسلطة التي أصدرت الأوامر هي المسؤولة عنها) وبالقدرة على استخدام السوط وكعب البندقيّة والطلقة في الشوارع التي يتحرّك فيها المواطنون، وتعمم السلطة بين هؤلاء قيماً خاصّة تجعلهم يفاخرون بما فعلوه أو بما هم قادرون على فعله، أو على استعداد دائم لفعله، وتجعلهم يتسابقون لأداء المهمّات التي يصفها غيرهم بأنّها قذرة أو وسخة أو لاإنسانيّة، بينما هم يرون فيها إثباتاً للرجولة وللاستحقاق التدليليّ عند الرؤساء، وبعد أن يبدأ تسابقهم من أجل إرضاء الرؤساء يصبح الأمر متعة شخصيّة وقيمة ذاتيّة تصلح للمفاخرة.

والمواطنون يعرفون هؤلاء في الحياة العامّة وفي الاشتباكات التي قد تحدث، فيضربون بهم المثل، وتتضخّم أسطورتهم أو الشائعة الأمنيّة، ويصبح ذكر اسمهم من قبل السلطة أو الشائعة الأمنيّة وحده كافياً لإحداث الذعر.

*من كتاب: حيونة الإنسان – دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية، الصفحات – ١١٣ – ١١٤ - ١١٥

الحمامة

عندما يصبح العالم مرعباً

كيف يمكن لكائن مسالم في الثقافة العالميّة أن يكون وحشاً في الوعيّ الإنسانيّ، ليسبّب الرعب والهلع، ويُغيّر مجرى حياة الكائن البشريّ؟.

هذا أوّل ما قد يخطر على ذهن القارئ لمجرّد إنهاء تلك الرواية القصيرة للكاتب الألمانيّ باتريك زوسكيند.

يُطالعنا باتريك منذ اللحظة الأولى في وصف حياة بطله «جوناثان»، عن تفاصيل الحياة التي يعيشها، الفراغ الكامل والروتين الصارم في تحرّكاته وعمله. كلّ شيء ذو ترتيب دقيق في تفاصيل حياته، منزله، توقيت هبوطه إلى العمل، أرديته، مظلّته، تأمّلاته العميقة إزاء العالم، كلّ شيء وفق منهج دقيق.

جوناثان رجل مسالم، يسير في حياته هادئاً، ويترك فاصلاً مادياً لتحاشي العالم الخارجيّ. هكذا يُوضّح زوسكيند بطله من خلال ذلك العمل.

لكن في ذات صباح يستيقظ جوناثان، يرتّب منزله، يرتدي ملابسه، ويهمُّ بالخروج. في تلك اللحظة الصباحيّة تنقلب حياته رأساً على عقب.

أمام باب منزله، تقف حمامة بعيون حمراء، تصدر صوتاً وتصمت، إنّها تقف عند بداية درج البناء، تحدّق به، يشعر جوناثان بالهلع، يتسمّر في مكانه، يتأمّل وجه الحمامة بعمق، لا يستطع التقدّم أو التراجع، في النهاية يختار طريق العودة، فيدخل إلى منزله ويغلق الباب على نفسه.

جوناثان سجين خوفه وحارسه هو حمامة صغيرة لا قيمة لها في عالم البشر الحقيقيّ، رغم ما تحمله من رمزيّة في الوعي كصورة سلام.

منذ تلك اللحظة يبدأ زوسكيند سرد عوالم بطله المخفيّة والمُخيفة .

التفكير طرح الأسئلة الذاتيّة.

يوصّف جوناثان رعبه من تلك الحمامة، خوفه المزمن، تلك العيون التي تحمل لون الدم واللامعنى، تخترقه مباشرة لتنصبّ في قلبه. يعيش يومه كاملاً سجيناً في غرفته، يحاول إيجاد حلّ لطرد الحمامة والعبور، لكنّه بمفرده في تلك المواجهة الثقيلة عليه، لا أحد بجانبه، إنّه وحيد.

خلال صفحات العمل يتضّح تدريجيًّا ذلك الرعب الذي يحمله جوناثان ليس اتّجاه الحمامة فقط، بل إزاء العالم، والذي تجسّد في شكل الطائر.

تكمن بداية عبقرية زوسكيند، في جعل القارئ أن يستخلص معرفة عميقة، وهي النفور الذي يستطيع خلقه في الطائر، الحمامة ليست كائناً مسالماً.

إنّها لا تفعل شيئاً ولا تؤذي أحداً، لكنّها مزعجة ببلادتها. وسيراود القارئ سؤالاً ربّما يخرج من عمق العمل الروائيّ، لكنّه سؤال قائم على إحساس مشروع لمجرد التمعّن في تلك الكائنات ..

من أعطى الحمامة صفة السلم؟ وهل حقًّا ذلك التعبير الذي أصبح من مسلّمات الكينونة البشريّة هو دقيق؟.

الحمامة كائن غبي ومزعج، بليد ويحمل في حركاته الكثير من السذاجة. يمكن لأيّ شخص أن يتأمّل حمامة بعمق ليدرك الذي أدركه جوناثان. رعب البطل لم يكن لخوف واضح، إنّه نفور وتقزّز مثلما يتقزّز من المشرّدين، إنّه يعاني إزاء العالم الخارجيّ.

هل كانت حمامة زوسكيند هي تمثيلاً مخفيًّا للعالم؟ هل جوناثان كان يرى ذلك الرعب بالعينين الحمراوين؟.

في نهاية المطاف تنحلّ أزمة جوناثان، يفتح الباب ولا يرى الحمامة، لقد غادرت. لكن ما الذي سيصبح عليه البطل بعد تلك الحادثة المروعة؟.

أيمكن له العودة لروتين حياته الطبيعيّ، أم أنّ الخوف اخترقه إلى الأبد؟.

بعيداً عن كلّ تلك الأسئلة، تترك حمامة زوسكيند أثراً عميقاً لدى القارئ، ذلك الانطباع بالخوف الذي يستمرّ.

رموز وتأويلات كبيرة يمكن لعمل صغير أن يخلقها ويفتح أبواباً من الاحتمالات.

الخوف هو ما يستبدّ بنا ويحيل حياتنا إلى جحيم، فالخوف من الألم أقسى من الألم ذاته، والخوف من الموت أقسى من الموت ذاته. هكذا يمكن أن يترك جوناثان تلك الرسالة البسيطة في أنفسنا، ما نراه مرعباً ومخيفاً هو شيء شديد البساطة والأهمّيّة، لم نره سابقاً أو نفكّر فيه بطريقة تأمّليّة.

يعالج باتريك أيضاً مسألة غامضة، ولو أنّها ليست واضحة الطرح في روايته، وهي بحث جوناثان عن فردانيّته.

جوناثان لا يحتمل المشرّدين والأفّاقين والرجال أصحاب العلاقات، إنّه يحبّ العزلة وتكوين عالمه الخاصّ، من خلال ذلك الروتين المزمن الذي يعيشه، إنّه بعيد عن العلاقات البشريّة الطبيعيّة والمتداخلة بعمق لدرجة التماهي.

لحظة رعب جوناثان من الحمامة، كانت لحظة متشابكة ما بين الرمزيّة التي اخترعها دماغه وما بين حاجته للمساعدة لطرد ذلك الكائن وما بين الحيرة بالحفاظ على فردانيّته من أن تتماهى مع العالم، تلك الثلاثيّة النفسيّة العميقة والتابعة لمنهج عقليّ ونفسيّ في داخله، خلقت نوعاً من الهستيريا والصعوبة لحلّ معضلة الحمامة التي سجنته.

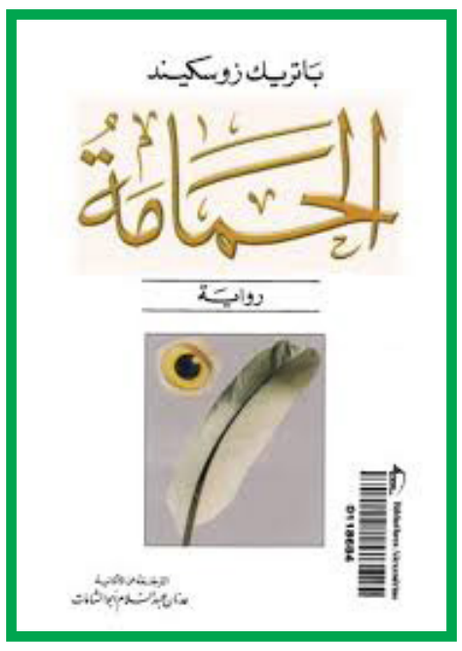

جوناثان ذو بعدين متعاكسين، فأن تكون فردانيًّا، فهو بطبيعة الحال أن تكون مُدركاً لعدم حاجتك للمساعدة أينما كنت، وأن تكون شخصاً ذو طبيعة خائفة، فهذا يؤدّي إلى إدراكك المسبق لضرورة الحياة المجتمعيّة، لكن جوناثان يمتلك الميزتين، يريد فردانيّته وخوفه المستتر، الذي ظهر في أبسط الأشكال. تلك الازدواجيّة بشخصية البطل، هي ما تجعله قريباً من الإنسان المعاصر، بعيداً عن رمزية العمل، فكلّنا بلحظة ما جوناثان، ذلك المتناقض بمشاعره وأفكاره، ذلك المتعاكس مع ذاته. وتبقى الحمامة العنصر الذي ظهر فجأة واختفى فجأة كأن لا مهمّة لها سوى أن تترك ذلك الانطباع بالألم والأسى.

تترك في دواخلنا إحساس الاضطهاد والتربّص بنا، إنّها شيء شبيه بمراقب خارجيّ لسلوكنا الواجف اتّجاه العالم الخارجيّ.

في النهاية عمل زوسكيند هو بمثابة تشريح عميق لمتناقضاتنا المخفيّة والتي لا تعبّر عن نفسها إلّا بلحظات خاصّة من الألم والتوجّس.

وستبقى حمامة زوسكيند مثالاً عن الإنسان بكافّة هواجسه في هذا العصر الحديث.

علاء الدين أحمد

خلل في سياق الموت

الشهيد لا يقول: أموت فداءً للحقيقة، لأنّي مالكها.

الشهيد، لا يملك الحقيقة ولا الباب المفضي إلى الخلود. ولا يحمل في جيب سترته صكّ الدخول إلى الفردوس. الشهيد، هو من ينظر للسماء مبتسماً ويصمتُ على ألم الزمن، لأنّ الصمت مهنة الأنقياء في الأرض.

هو من يُدير ظهره للموتِ فيُطعن غدراً.

لا .. لستم الشهداء.

لستم سوى ظِلال شهوات الخليلات، عبيدٌ لوهم الأسطورة لاهوتاً، وخانعون لخوف الأرض ناسوتاً. وأفراداً سجناء في هوامش الظلام. لستم سوى غزوٍ فاشيٍّ لصورة الجمال، وقتلة عبثيّون للحياء والحبّ والخوف الطبيعيّ في الإنسان. لستم الشهداء.

الشهداء أفكار اللحظة، أزواج المدى.

هم من يتأنّقون صباحاً بالوقوف أمام قطرة ندى، فينعكسون حقيقة للحقيقة. هم الجسد كاملاً دون نقصانٍ.

هم الحالمون بالبلاد \ الضحيّة، الأحياء في الذكريات عندما ساروا على رصيفٍ باسمين، المدخّنون الشرهون في ليل لا ينتهي، ومن يختلفون في معيار القهوة.

هم الذين يُصدّقون أنّ النثر بلاغة الأنبياء، وأنّ الشِعرَ وهم التاريخ، وأنّ السرو مسكن الغربان.

هم من يخفون الدمع في فيلم سينمائيّ، لأنّ المشهد يُهشّم الروح، ومن يغلقون الرواية في النهاية ويقشعرّون من فرط الصدمة، وينامون على سرير واحدٍ لأنّ الليل طويل.

الشهداء هم المتسكّعون فوق أرصفة مبللة بالأمطار، والمغنّون بحناجر ليست غنائيّة، ينشزون فرحين كأطفال، ويلعنون بعضهم بعضاً. هم الراقصون من عمق البلاهة والضحك الآثم، والناثرون الأحرف الغبيّة لأنّ فتياتٍ يحلمن بالقصائد غير المُقفّاة. الشهداء هم الفاشلون في إصلاح صنابير المياه، والكارهون للوقوف على طوابير المدن المباعة، والضجرون من ترتيب الأمّهات للمنازل.

هم المشاكسون مع الآباء، والمختلفون مع الأخوة الحمقى، وهم المنكسرون في الألوان.

الشهداء هم السكارى في الحانات، والثملون في الموسيقى، ولصوص الكتب من غرف الأصدقاء. هم الخياليّون في ابتكارات المشهد العاطفي، والشاردون في الغروب.

هم الراكضون نحو التلال لمشاهدة خسوف القمر، والعشاق قرب الماء، والساهرون بغرف صغيرة بأثاث فقير. الشهداء هم الضاحكون في الضباب، والأصدقاء اللامزون بودٍ تفاصيل غراميّات بعضهم، وهم المتشاجرون برؤاهم في المقدّسات، والمتّفقون على جمال المساء.

هم البسطاء برغباتهم دون خجل من إيديولوجيات الأخلاق، وهم المتنوّعون في حبّ الفاكهة، والطامحون بنوم خفيف بعد ليل طويل من الصخب.

هم المرتعشون بتجربة الجسد الأولى، والقبلة الأولى، واكتشاف أجسادهم الغريبة.

الشهداء هم من يُصدِرون أنيناً من الشوق المُثقل للهدوء، وهم الفكاهيّون في الحافلة المتجهة صوب البراري، وهم الحزانى في جنازات الآباء لأنّ الحياة غير خالدة.

الشهداء هم الخطّاؤون في الحقيقة، هم الأحياء في يومهم فرادى، والشاتمون عقائدكم السافلة كلّما تأمّلوا خراءهم.

الشهداء نحن قبل كلّ هذا الخراب.

علي الأعرج

المركز السوري للحريات الصحفية

الانتهاكات بحق الإعلاميين في شهر تشرين الأول 2016

يتابع المركز السوري للحريات الصحفية في رابطة الصحفيين السوريين، والمعني برصد وتوثيق الانتهاكات بحق الصحفيين والمواطنين الصحفيين والمراكز الإعلامية في سوريا، إصدار تقاريره الشهرية عن الانتهاكات الواقعة بحق الإعلاميين السوريين، هذه التقارير التي تتميز بالدقة المهنية، والمشغولة بحرفية عالية وفق معايير دقيقة.

وثق تقرير المركز عن شهر تشرين الأول لعام ٢٠١٦ كما جاء في تقريره المنشور على موقع رابطة الصحفيين السوريين، التي يعتبر المركز واحداً من فعالياتها المميزة..

وقوع ٧ انتهاكات خلال شهر تشرين١ ٢٠١٦، وهو أقل عدد من الانتهاكات التي يوثقها المركز خلال هذا العام، وخاصة خلال الأشهر الأخيرة التي كانت قد شهدت ارتفاعا ملحوظاً في عدد الانتهاكات، خاصة في محافظة حلب التي تركزت العمليات العسكرية فيها، وذلك عبر قصف الطيران الروسي والسوري على أحياء المدينة الشرقية في محاولة لاقتحامها، وهو ما أدى إلى وقوع خسائر بشرية ومادية كبيرة فيها.

ولعل الهدن المتقطعة التي أُعلنت من جانب روسيا مؤخراً، ورغم عدم الالتزام التام بها أدت إلى انخفاضٍ الخسائر في صفوف الإعلاميين نسبياً.

وكان من الانتهاكات التي وثقها مركز الحريات خلال هذا الشهر مقتل إعلاميين إثنين، ليرتفع بذلك إجمالي عدد الإعلاميين الذين وثق المركز مقتلهم منذ بداية الثورة السورية في آذار ٢٠١١ إلى ٣٧٨ إعلامياً.

فقد قتل عيسى الحمدو بانفجار لغم أرضي زرعه تنظيم داعش في ريف حلب الشمالي، كما قتل عبد السلام كنعان في ريف حمص الشمالي بعد إصابته بشظايا صواريخ فراغية أطلقها طيران النظام السوري.
إضافة إلى ذلك، أصيب ثلاثة إعلاميين بجراح مختلفة، فقد أدى قصف الطيران الروسي على قرية عويجل إلى مقتل ثلاثين مدنياً وإصابة العشرات بجراح، كان منهم الإعلامي عبدالله ملحم الذي بترت يده اليمنى، كما أصيب مظهر البوشي بجراح خطيرة بسبب قصف نفذه طيران النظام السوري على بلدة قدسيا في ريف دمشق الغربي، وقد تأخر تقديم الإسعافات الأولية له، بسبب عدم توفر الرعاية الطبية في البلدة المحاصرة، ووجود صعوبات في إخراجه منها، وهو ما حصل بعد يومين، بعد إخراجه إلى إدلب، كما أصيب أبو باسل الدمشقي في بلدة الهامة بشظايا في جسمه، وقد خضع للعلاج.

هذا وتعرض مقر جريدة طلعنا على الحرية، في دوما بالغوطة الشرقية لهجوم هو الثاني من نوعه خلال ثلاثة أشهر، لكنه دمر هذه المرة بشكل تام، وخرج مع مقرات أخرى تابعة للمجتمع المدني، تتواجد مع الجريدة في المجمع ذاته عن الخدمة، وأخيراً فقد نفذ عدد من النشطاء حملة إعلامية، طالبوا من خلالها قوات الآسايش التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي بالكشف عن مصير مراسل موقع يكيتي ميديا آلان أحمد، الذي اعتقلته في القامشلي منذ منتصف آب الماضي.

يدعو المركز السوري للحريات الصحفية في رابطة الصحفيين السوريين إلى احترام حرية العمل الإعلامي في سوريا، والعمل على ضمان سلامة العاملين فيه، مع محاسبة كل المتورطين في الانتهاكات، ويطالب مختلف الأطراف، والجهات الدولية المعنية بتفعيل القوانين الدولية الخاصة بحماية الإعلاميين، ومحاسبة كل من ارتكب جرائم بحقهم، والعمل على الدفاع عنهم وعن حرية الصحافة وحق نقل المعلومات في سوريا.

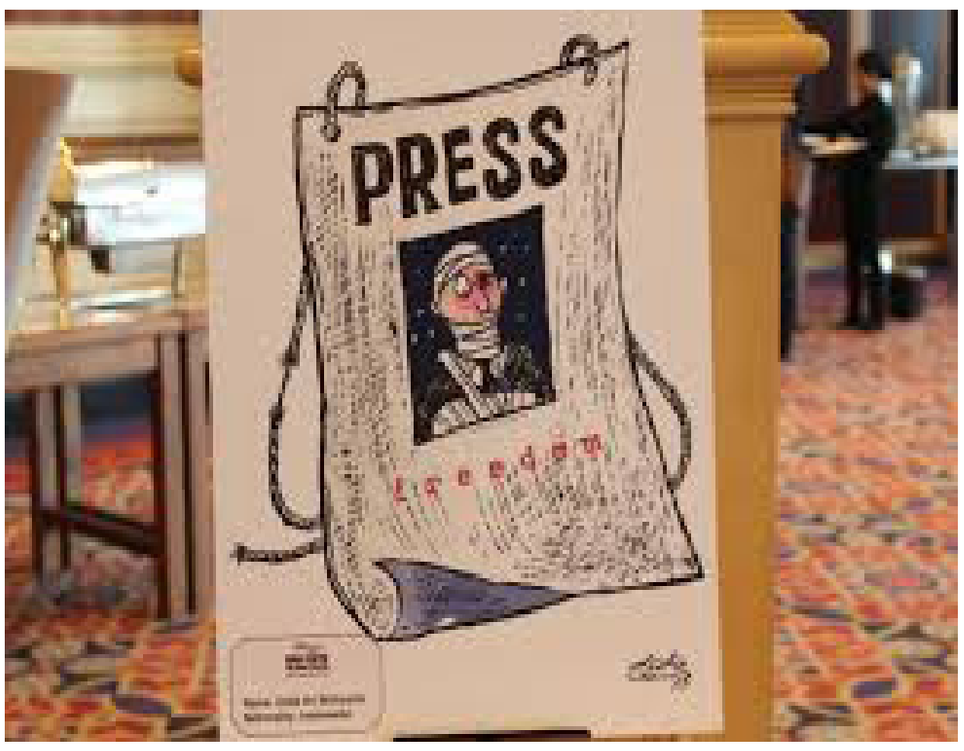

المركز السوري للحريات الصحفية
SJA THE SYRIAN CENTER FOR JOURNALISTIC FREEDOMS

من يحقّق في حالات الاختفاء القسريّ في سجون النظام السوريّ؟

اعتُقِل مازن دبّاغ (٥٧ عاماً) وابنه باتريك (٢٢ عاماً) في تشرين الثاني عام ٢٠١٣ في سورية على أيدي ضبّاط قدّموا أنفسهم على أنّهم في الاستخبارات الجوّيّة الذائعة الصيت، حسب ما جاء في الشكوى. ونُقلا إلى سجن المزّة، الذي تتردّد معلومات كثيرة حول تحوّله إلى مركز تعذيب، ومنذ ذلك التاريخ لم يظهر لهما أيّ أثر.

تسلّم القضاء الفرنسيّ شكوى حول اختفاء فرنسيّين اثنين من أصل سوريّ في السجون السوريّة. وبما أنّ تحويل الملفّ السوريّ لمحكمة الجنايات الدوليّة شبه مستحيل، فإنّ ثمّة أمل بأن تقوم السلطات القضائيّة في دول أخرى بالتحقيق في جرائم النظام السوريّ.

ويمكن أن يعتبر القضاء الفرنسيّ صاحب حقّ بالنظر في هذا الملفّ لأنّ المختفيين يحملان الجنسيّة الفرنسيّة أيضاً إلى جانب الجنسية السوريّة، إذ يأمل مقدّمو الشكوى تعيين قاضي تحقيق للنظر في هذا الملفّ.

وقام الاتّحاد الدوليّ لرابطات حقوق الإنسان والرابطة الفرنسيّة لحقوق الإنسان بتقديم الشكوى. وانضمّ إليهما عبيدة دباغ شقيق الضحيّة الأولى وعمّ الضحيّة الثانية.

لا يجوز الإفلات من العقاب بسبب العجز الدوليّ وقال باتريك بودوان الرئيس الفخريّ للاتّحاد الدوليّ لرابطات حقوق الإنسان (الفيدراليّة الدوليّة لحقوق الإنسان) في مؤتمر صحافيّ عقده في باريس إنّ «نظام بشّار الأسد لم ينتظر إلى العام ٢٠١١ لكي يصبح قمعيًّا بشكل مرعب (...) إلّا أنّه ومنذ ذلك التاريخ يقف وراء أشنع الفظائع التي ترتكب في هذا البلد». وتابع بودوان «أمام العجز عن إمكانيّة التوجّه إلى المحكمة الجنائيّة الدوليّة للنظر في الجرائم، التي ترتكب في سورية، حان الوقت لأن تقوم السلطات القضائيّة في دول أخرى بفتح تحقيقات حول الجرائم التي يرتكبها نظام بشّار الأسد».

بدورها قالت المحامية كليمانس بكتارتري، منسّقة مجموعة العمل القضائيّ في الاتّحاد إنّ الشكوى تتضمّن التحقيق في «عمليّات اختفاء قسريّة» و «أعمال تعذيب» و «ارتكاب جريمة ضدّ الإنسانيّة». وأضافت بكتارتري «ستكون سابقة على المستوى الأوروبـيّ».

وقدّمت الشكوى إلى القسم المتخصّص بالنظر في جرائم ضدّ الإنسانيّة وجرائم الحرب.

لا بد من تعيين قاض فرنسيّ لمتابعة الملف وحسب المحامية فإن «بعض المحاكم تسلّمت حاليًّا قضايا تتعلّق بجرائم ارتكبت في سورية خصوصاً في السويد وألمانيا وبريطانيا والنمسا. إلّا أنّ هذه التحقيقات والملاحقات لا تشمل الجرائم المنسوبة إلى نظام بشّار الأسد».
وتابعت لفرانس برس «إذا كانت فرص التوصّل إلى محاكمة بشأن هذا الملفّ ضعيفة، فإنّ بإمكان القضاء القول إنّ جريمة ضدّ الإنسانيّة قد ارتُكبت وعلينا تحديد المسؤوليّات».

في فرنسا هناك شكاوى عدّة ضدّ النظام السوريّ، إلّا أنّه لم يعيّن بعد قاضٍ لأيّ منها. والقضيّة الأبرز تخصّ ما يعرَف بـ «قيصر»، وهو الاسم المستعار لمصوّر كان يعمل لدى الشرطة العسكريّة السوريّة فرّ إلى الغرب عام ٢٠١٣ ناقلاً معه ٥٥ ألف صورة لأكثر من عشرة آلاف شخص قتلوا تحت التعذيب في سجون النظام السوريّ.

وفتحت النيابة العامّة في باريس في الخامس عشر من أيلول تحقيقاً أوّليًّا استناداً إلى «الصلاحيّات العالميّة» بشأن حصول «جريمة ضدّ الإنسانيّة» تتمثّل بعمليّات خطف وتعذيب قام بها النظام السوريّ. بيد أنّه لكي يكون بالمستطاع المضيّ قدماً في التحقيق لا بدّ أن يكون أحد المتضرّرين يحمل الجنسيّة الفرنسيّة، أو أن يكون أحد المسؤولين المتورّطين في هذه الأعمال فرنسيًّا.

وأكد الاتّحاد الدوليّ لرابطات حقوق الإنسان أن باتريك دبّاغ الطالب في كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة في جامعة دمشق ووالده مازن المسؤول في المدرسة الفرنسيّة في دمشق «لم يشاركا على الإطلاق بأيّة حركة احتجاج ضدّ نظام بشّار الأسد». ولم يوضح الاتّحاد السبب المحتمل لإلقاء القبض عليهما.

وقال عبيدة دبّاغ في المؤتمر الصحافيّ «حاولنا بكلّ الطرق الحصول على معلومات بشأن مصيرهما دون جدوى (...) المعنيّون يخشون تقديم شكوى خوفاً من ردود الفعل.

وأنا لديّ هذه الفرصة التي ليست متوفّرة لمئات آلاف المفقودين الآخرين في سورية.

بيار ريكوتشيولي

عصفور طلّ من الشبّاك

من حكايا العتمة 1/

ابتدأت القصة في عام ١٩٨٦. كان ذلك في حوالي الساعة العاشرة والنصف من صباح السادس من كانون الثاني. كنت في تلك الفترة أعيش حياتي مثل جميع الشعب السوري، مع فارق طفيف، هو أني أكثر موقفاً شعبياً اتجاه الناس البسطاء وحقوقهم، وأكثر تحيزاً سياسياً قبالة سلطة الحكم القائمة.

في ذلك الصباح وبينما كنت أقوم بعملي الاعتيادي بشركة سجاد حلب (ساتكس)، كانت أن دخلت دورية من فرع الأمن السياسي إلى داخل الشركة، متجهين إلى مكان معين، ولهدف واحد، ذلك الهدف لم يكن سوى أنا.

قبل مجيء الأمن السياسي، بشهرين ونصف، كنت قد خضتُ آخر معركة كلامية مع الإدارة الإنتاجية في الشركة، والفرقة الحزبية التي كانت شائعة في جميع مؤسسات الدولة آنذاك نتيجة السياسة البعثية التي كان ينتهجها الحزب الواحد وتحت راية الديكتاتور حافظ الأسد. وكان جوهر تلك المعركة هي برفضي رئاسة القسم الذي عُرِض عليّ، وطالبت بالعودة إلى مكان عملي الأصلي، أي نسّاج.

وسبب هذه المعركة هو الفساد المستشري داخل المؤسسة، فكثير من العمال، أنا وغيري، من النشطاء والجيدين والمتخصصين بعملهم، كانوا لا يأخذون حقوقهم على أكمل وجه. فكان يتم استبعادهم من الحوافز والمكافآت. فمسابقة من أمثال أبطال الإنتاج التي يعمل الكثير منهم للحصول عليها، كانت ببساطة تذهب إلى أناس لا يفقهون في عملهم ألف باء المهنة، نتيجة الدعم والوصولية التي كانت موجودة داخل البشر المنضويين تحت راية الحزب وفرقهم المسؤولة عن العلاقات بين العمال والقيادة السياسية.

كان يتم التعامل مع العمال كعبيد والآخرين كأسياد، من منطق أن القيادة البعثية هم الحاكمة للبلاد بالمطلق، وقد تحولو إلى طفيليين بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

ذلك الصدام المباشر الذي جرى بيني وبين رئيس الصالة في ذلك اليوم حيث قال لي: ليش ما بدك تستلم رئاسة القسم؟.

وكان جوابي يحمل من السخرية ما أثار انزعاجه، وحنقه عليّ، فأجبته: أعطي هالمكان لابنك، ما هو بطل إنتاج.

كان ابن رئيس الصالة شاباً يُحضّر لشهادة الإعدادية (الصف التاسع) وكان لا يعمل في اليوم أكثر من نصف ساعة، وفي أغلب الأحيان لا يعمل أبداً، يخرج من الشركة كما دخل، وكان قد حاز على لقب بطل إنتاج فقط لأن والده رئيس صالة وعضو فرقة حزبية، تماماً كما هي العقلية السياسية التي كان يقودها حافظ الأسد من تدمير البلد أخلاقياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً وروحياً ونشر الفساد في البلاد، حتى وصل أمر ذلك الفساد إلى أصغر مراحله وأضعف حلقاتها. وهذا جميعه كان تحت اسم الممانعة والتصدي إلى الامبريالية. لقد كانت هذه فعلياً آخر معركة كنت قد خضتها ضد الوصوليين والفاسدين والبيروقراطية المنتشرة بادق أجهزة المؤسسات التي يسيطر عليها البعث.

كان ينتابني في تلك الفترة نوع من التوجس بأني مراقب، وفعلاً كانوا يراقبونني من حوالي ثلاثة أشهر وكنت اتوقع الاعتقال ولكن ليست في تلك الفترة من بداية السنة. توقعت اعتقالي بعد شهرين على أقل تقدير من الانتخابات النقابية، لكن تصوراتي للموضوع لم تكن بمحلها.

حين دخلت دورية الأمن السياسي إلى الصالة، أحاطوا بي وأنا أقف على (ماكينة النسيج)، وهم بكامل عدتهم وعتادهم، حيث قالوا لي حينها: تفضّل معنا.

هبطت من الآلة وقلت لأحدهم: مين أنتو؟. يعني أي جهة بالتحديد؟.

فأجابوني: بتعرف بعدين.

أدرت نظراتي بينهم، وفي داخلي كنت أعلم أنهم من الأمن السياسي، وقلت: بدي أغيّر ثيابي (ملابسي).

فأجابني أحدهم: ما في داعي، كل شغلتك سؤال وجواب وبعدها رح ترجع لشغلك.

كنت أعلم بان الأمر لن يتوقف عند ذلك الحد من سؤال وجواب، وأن الامر أكبر من ذلك، فقلت لهم: هية غرفة العمال على بعد خطوتين.

من الظاهر أنهم لا يريدون ان يكونوا عنيفين في لحظتها، فلم يمانعوا، ودخلت إلى الغرفة وبدلت ملابسي وخرجنا من الصالة مع خروج كل الصالات بالشركة لمشاهدة ذلك الاعتقال.

وكانت الدورية عندئذ تقوم بحركاتها البوليسية، وعرض العضلات والنظرات المتوعدة للعمال الواقفين الذين يشاهدون تلك التراجيديا التي يقوم بها الأمنيون، تلك النظرات التي تحمل معاني واضحة وكأنهم يقولون: «هذه مصائركم إذا فعلتم مثله.

أي إذا رفعتم رؤوسكم وشعرتم بالكرامة». ففي هذه البلاد لا حياة إلا إلى المتملقين والمتزلفين والفاسدين والمفسدين.

أحمد معرستاوي

بلدٌ

يقول الشاعر السوري جبران خليل جبران في رسالة كتبها لصديقة أمريكية قبل ما يقارب المئة عام من اليوم، يشكو فيها همه من واقع بلده، ومن ناسها ومن حالها:

«أنا لست وطنياً يا ماري، غير أن فؤادي يكتوي من أجل سوريا، لقد كانت الأقدار قاسية عليها الى أبلغ حد.

لقد كانت أكثر جداً من قاسية.

إن آلهتها ماتوا، وأبناءها قد تركوها، ليطلبوا القوت في أصقاع نائية، وبناتها بكماوات عمياوات، ومع هذا فهي ما تزال حية، حية، وهذا أشد شيء إيلاماً، إنها حية في وسط تعاستها».

نعم هذا ما كتبه شاعر قبل قرن من اليوم، وكأنه كان يكتب مشاهداته هذا الصباح، وكأنه يعيش بيننا، ونعم كانت الأقدار أكثر من قاسية على هذا البلد وأهله، ونعم ثالثة إنه ورغم كل هذا الخراب العميم مازال يعيش، مازال حياً ويحلم.

بلدٌ، سماؤه صارت بحاجة لشرطي سير كي ينظّم حركة الطائرات وهي تنفذ طلعاتها لتفرغ حممها فوق رؤوس المدنيين من الأهالي، طائرات روسية، وطائرات سورية، وأخرى فرنسية، وأمريكية، وإسرائيلية، وما شئت من جنسيات، طائرات لا هدف لها إلا أن تقتل وتقتل..

بلدٌ، تطلب حكومتها من غريب أن يحتلها تحت بند المساعدة والنجدة، وقيصر فقد لياقته، يبدأ من جديد تمرينات لاستعادتها، تحت بند المساعدة للقضاء على الإرهاب، ليمارس عربدة في سمائها ويقتل المزيد من أبنائها.

بلدٌ، تحت بند الجهاد، خربته قوافل العابثين من كل أصقاع الأرض، تحت مسمى مجاهدين، ليعيثوا فساداً في أرضه، ويقيدوا حرية أهله، تحت يافطات ملونة بالأسود، وفتاوى غبية من فقهاء ظلام، راحوا ينسجون من جديد بنى جديدة لاستبداد أمرُّ وأدهى، طغيان بلبوس ديني..

بلدٌ، ساسة معارضته ما زالوا يتقاتلون على منصب هنا، ومقعد هناك، من كانوا يحسبون حالهم ثواراً يتقاتلون حول من سبق؟ ومن صدق؟ ومن لحق؟ من يسمي نفسه معارضة داخلية فيها، يبارك تدخّل الصديق الروسي، ويبارك قذائفه وصواريخه، ويرقص الناتاشا الروسية على أنغام الموت السوري.

بلدٌ، قررت أن تحلم بالتغيير، فعاندتها كل قوى الأرض، ضاع نصف أبنائها في المنافي، توزعوا ما بين مخيمات نزوح ومعسكرات لجوء..

بلدٌ، يحاول الكل أن يعبث به، يريد الكل أن يسترجع أمجاده التليدة على حساب وحدة أراضيه وحرية شعبه، القيصر، والسلطان، والخليفة، والولي الفقيه، والرئيس الديمقراطي، كلهم يبحثون عن موطئ قدم واسترجاع ما مضى من سيرة طغيانهم وغيّهم.

بلدٌ، تحت الاحتلال!

صدقت يا جبران خليل جبران.. صدقت أيها الشاعر: «ومع هذا فهي ما تزال حية، حية».

حسين برو

النمسا تأمر بإعدام دواجن بعد رصد إصابتها بإنفلونزا الطيور

قالت وزارة الصحّة النمساويّة إنّه سيتمّ إعدام كلّ الطيور في مزرعة دواجن في إقليم فورارلبرج في غرب البلاد بعد اكتشاف إصابة ديك رومي بالمزرعة بفيروس أنفلونزا الطيور .
وأبلغت ألمانيا والنمسا وكرواتيا وسويسرا المنظّمة العالميّة لصحّة الحيوان عن حالات انتشار السلالة القاتلة من المرض التي تصيب الطيور البريّة.

رواية من جملة واحدة تفوز بجائزة قيمتها ١٠ آلاف إسترليني

فازت رواية الكاتب الأيرلنديّ مايك ماكورماك «Solar Bones»، وهي رواية من جملة واحدة دون انقطاع، بجائزة غولدسميث لعام ٢٠١٦، وقيمتها ١٠ آلاف جنيه إسترليني.
والرواية، التي أصدرتها دار نشر «ترامب برس»، تتبع ذكريات مهندس يدعى ماركوس كونواي بعد أن عاد لفترة وجيزة من الموت.
وماركوماك هو الكاتب الإيرلنديّ الثالث الذي يفوز بالجائزة منذ انطلاقها عام ٢٠١٣.

معدّلات إصابة النساء بفيروس زيكا أعلى من الرجال

قال باحثون إنّ النساء البالغات في بويرتوريكو أكثر عرضة للإصابة بفيروس زيكا من الرجال ممّا يثير تساؤلات جديدة بشأن الدور المحتمل لانتقال الفيروس عبر الاتّصال الجنسيّ من الذكور إلى الإناث.
وقال معدّو الدراسة إنّ البيانات تظهر أنّ ٦٢ بالمئة من حالات الإصابة بالفيروس المؤكّدة هي لنساء.

محكمة تقبل دعوى ضدّ مؤسّس ومديري فيسبوك

أعلنت ألمانيا أنّها بدأت تحقيقاً في دعوى قضائيّة ضدّ مارك زاكربيرغ وعدد أخر من مسؤولي شركة فيسبوك بسبب اتّهامهم بانتهاك القوانين الألمانيّة الخاصّة بمكافحة جرائم العنصريّة والكراهية والحضّ عليها.
وقالت السلطات الألمانيّة إنّ التحقيقات تنصبّ على بلاغات تلقّتها بسبب فشل الشركة في التخلّص من مشاركات مسيئة ومحرّضة على الكراهية العرقيّة والعنصريّة على الموقع.

كيف أصبحت الكلاب صديقة للإنسان؟

أظهر بحث علميّ أنّ الكلاب تتغذّى على بقايا طعام الإنسان منذ بداية استئناسها.
واستطاعت الكلاب التأقلم مع هضم النشويّات أثناء الثورة الزراعيّة منذ آلاف السنين، بحسب الأدلّة التي أظهرها تحليل للحمض النوويّ « DNA» .
ويرجح العلماء أنّ الانسان استأنس الكلاب عند قدومها إلى أماكن إقامة البشر بحثا عن الطعام.

مابعد المضادّات الحيويّة

حذّرت منظّمة الصحّة العالميّة من أنّ البشريّة تتّجه صَوْب حقبة ما بعد المضادّات الحيويّة، إذ يمكن أن تؤدّي الأمراض المعدية الشائعة والإصابات البسيطة مجدَّدا إلى الوفاة.
وأضافت أنّ «معدّلات مقاومة المضادّات الحيويّة تتزايد لمستويات عالية على نحو ينذر بالخطر في شتّى ربوع العالم، بما في ذلك إقليم شرق المتوسّط.

رئيس التحرير
بسام يوسف
مدير التحرير
بشّار فستق
المحرر التنفيذي
حسين برو
الاخراج الفني
مازن عودة
هيئة التحرير
غزوان قرنفل - ثائر موسى - عزّة البحرة
العلاقات العامة
نور العبدالله
الصفحة الرياضية
عروة قنواتي
الموقع الإلكتروني
محمد الشبلي
عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع
SNP
الآراء الواردة في كلّنا سوريّون تعبّر عن رأي الكاتب و لا تعبّر بالضرورة عن رأي الصحيفة